عبدالله عبدالحافظ متولى

روائع المسرح العالمى

٥٥

ديدرى فتاة الأحزان

تأليف : جون ميلنجتون سينج
ترجمة : على جمال الدين عزت
مراجعة : الدكتور عبد الغنى خلف الله
تقديم : الدكتور عبدالله عبدالحافظ متولى

المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والأنباء والنشر
الدار المصرية للتأليف والترجمة

مقدمة

قبل أن نتصدى لهذه المأساة علينا أن نتتبع فى ايجاز تطور الكاتب المسرحى الأيرلندى چون ملنجتون سنج فى ضــوء حياته القصيرة ، واسهامه فى الحــركة المسرحية الأيرلندية ، وانتاجه الدرامى .

حياة سنج (١٨٧١ – ١٩٠٩)

ولد جون ملنجتون سنج فى ١٦ أبريل ١٨٧١ فى نيوتاون ليتــل Newtown little ، وهى قرية قريبــة من دبلن ، عاصمة أيرلنده الحرة . وكان والده محاميا يتحلى بالتواضع وهدوء الطبع والمثابرة . وكانت الحياة سهلة ميسورة له ولعائلته اذ بجانب ما يدره عمله كمحــام من مال كانت له أملاك فى منطقة جولواى Galway . أما والدته فكانت ابنة قس من كورك Cork . وفى الثــانية من عمره مات أبوه وانتقلت العائلة الى ضاحية راثجار Rathgar احدى ضــواحى دبلن ، حيث عاش چون سنج حتى بلغ التاســعة عشرة من عمــره .

وحتى هذه السن لم يحظ سنج بتعليم منتظم نظرا لصحته المعتلة فكان يتلقى دروسا خصوصية فى بيته أعدته للالتحاق بكلية ترينيتى Trinity College فى ١٨٨٨ . وفى ترينيتى برز فى اللغتين الأيرلندية والعبرية ، وحصل على درجة الليسانس سنة ١٨٩٣ . وبدأ فى هذه الفترة يميل الى الموسيقى فتعلم العزف على الناى ، وأجاد العزف على القيثارة والبيـــانو . وعلاوة على ذلك أظهر اهتماما بالتاريخ الطبيعى وانضم الى نادى الطبيعيين Naturalists Club . ويذكر عن سنج أنه كان مولعا بالتجــول فى الريف يجمع غريب الأغصـــان والأزهار ويتأمل الطبيعة والناس . ورغم ميله للشعر والدراما فان جل اهتمامه فى تلك الفترة كان موجها الى الموسيقى ، ولذا فانه عزم على السفر الى ألمانيا لمواصلة دراساته الموسيقية .

وفى ألمانيا اهتم بدراسة القيثارة ، والنــوتة الموسيقية ، والهارمونى . ولكن سرعان ما تخلى عن عزمه على أن يكون موسيقيا محترفا ، اذ شــعر أنه لن يضــارع الألمان فى هــذا المضمار ، كما أنه كان عصبيا للغاية لدرجة لا تمكنه من العزف أمام الجمهور . لذا أقلع عن دراسته للموسيقى وأخذ يتجول فى ربوع أوربا وخاصة فى ألمانيا وفرنسا وايطاليا . وفى باريس بدأ ولاؤه يتحول من الموسيقى الى الأدب وظن أنه سيجد مادة خصبة للكتابة عن الحياة والأدب الفرنسى .

وفى باريس ، وكان اذ ذاك فى السادسة والعشرين من عمره ، التقى سنج فى مارس ١٨٩٨ بالكاتب الأيرلندى وليم بتلر ييتس W. B. Yeats الذى نصحه بأن يعود الى أيرلندة ويستمد الوحى الفنى من جزائر أران Aran Islands فى خليج جولواى. فعمل بالنصيحة وغادر فرنسا فى مايو ١٨٩٨. ومنذ ذلك الوقت قضى السنين الباقية من حياته (احدى عشرة سنة) متنقلا بين دبلن حيث كان يحضر بروفات مسرحياته، وبين جزائر أران التى وجد فيها ضالته المنشودة .

عندما عاد سنج من باريس كانت الحركة الأيرلندية المسرحية The Irish Dramatic Movement على أشدها . وكانت الجمعية الأدبية الأيرلندية القومية قد تأسست فى ١٨٩٢ ، وأنشأت بعد ذلك بسبع سنوات المسرح القومى الأيرلندى الذى عرف فيما بعد باسم مسرح الأبى Abbey Theatre ثم ظهر الى حيز الوجود الاتحاد الغيلى The Gaelic League الذى أبرز بُعد الشقة ما بين الثقافة الانجليزية والثقافة الأيرلندية ، وحث الكتاب على الاهتمام بالناحية القومية .

وسط هذه الموجة القومية فى الأدب عامة والمسرح خاصة ، كتب سنج مؤلفاته ، وتجاوب مع الحركة الأيرلندية المسرحية فكان من أول مديرى مسرح الأبى الذى افتتح

فى ٢٧ ديسمبر ١٩٠٤ . وبالتعاون مع و . ج . فاى W. G. Fay كان يخرج المسرحيات بعناية فائقة ، وكان شديد الحرص على حضور بروفات مسرحياته وملاحظة كل التأثيرات اللازمة . وبلغ من حرصه أنه كان يريد التأكد من كل كلمة يتفوه بها الممثل الذى يقوم بدور فى احدى مسرحياته ، وكان يساعد سنج فى هذا حفظه للمسرحيات عن ظهر قلب . وعلى الرغم من أن العمل كان شاقا الا أنه كان يجد فيه سعادة أيما سعادة .

ولقد كتب سنج فى هـذه الفترة مسرحياته الشهيرة :
« ظـلال الوادى » The Shadow of the Glen (١٩٠٣) ،
و « الراكبون الى البحر » Riders to the Sea (١٩٠٤) ،
و « بئر القديسين » The Well of the Saints (١٩٠٥) ، و « فتى العالم الغربى المدلل » The Playboy of the Western World
و « زفاف السمكرى » The Tinkers Wedding (١٩٠٧) ،
ثم « ديدرى فتاة الأحزان » التى طبعت بعد وفاته ، أى فى (١٩١٠) .

وبدا نجم سـنج يتألق فى سماء الأدب المسرحى ، لكن المرض وقف له بالمرصاد فاستشرى فى بدنه السرطان ودخل مستشفى Elpis Private Hospital التى خـرج منهـا فى مايو ١٩٠٨ بعد أن أجريت له عملية جراحية . فى تلك الأيام

قابله للمرة الأخيرة الكاتب الأيرلندى بادرياك كولم «Padraic Colum» الذى وصف هذه المقابلة قائلا « لقد كان سنج ذاهبا الى مدينة لنجستون فسرت معه الى المحطة وجلسنا بعض الوقت . لقد كان غائر الوجه بعد خروجه من المستشفى . وعلى الرغم من حديثه الهادىء الا أنه كان يتكلم بعمق وتأثر . وكان اذ ذاك منهمكا فى كتابة مسرحية « ديدرى فتاة الأحزان » التى أنجز منها ، رغم مرضه ، ثلاثة فصول . لقد أخذ يحدثنى عن الفصل الثالث الذى يفتتح المشهد فيه على قبر مفتوح . فأعربت عن شكى فى مدى التأثير الذى سيحدثه هذا المنظر على المتفرج . لكنه استطرد قائلا انه قريب من الموت والقبر وما هو الا حقيقة ماثلة أمامه — ان ما يصوره فى مأساته ليعبر عن الواقع الذى يعيش فيه » .

فى فترة النقاهة هذه رحل الى ألمانيا . وما أن حل به المقام حتى علم بوفاة والدته فعاد الى دبلن ليدخل المستشفى من جديد . وأثناء اقامته فى المستشفى أحرق كثيرا من خطاباته وأشعاره . وعندما اشتد عليه المرض انتقل الى حجرة أخرى ليتسنى له مشاهدة الجبال القريبة من دبلن — تلك الجبال التى كان يتجول فيها أيام صباه . لكن المنية عاجلته ، فمات فى الخامسة صباح يوم ٢٤ مارس ١٩٠٩ .

أهم خصائص فن سنج الدرامى :

تعد مقابلة سنج ليتس نقطة تحول هامة فى حياته الفنية فلولاها ما ترك العاصمة الفرنسية التى لم يصب فيها نجاحا يذكر بل ذاق شظف العيش والحرمان ، ولولاها ما رحل الى جزائر أران حيث الطبيعة تلهب خيـاله الحسـاس ، وحيث الفلاحـون البسطاء بصدق احساسهم قد أثروا فيه تأثيرا عميقا . ان ييتس يعبر عن هذا التجاوب تعبيرا جميلا فى سطور أشـار فيها الى سنج ضمن قصـيدة كتبها عن « م . ر . جريجورى » اذ قال :

عندما خيم الليل أقبل على جماعة
فى مكان موحش للغاية
عندما خيم الليل أقبل على شعب
بسيط وصادق العاطفة كقلبه .

كان توجيه ييتس ينبع من اعتقاده بأن المسرحية الشعرية لابد أن تحد من غلواء المسرحية الواقعية الاجتماعية التى تزعمها ابسن وشو اما بتخطى حدودها الى معالجة مواضيع مستمدة من الريف الأيرلندى بما يتسم به من بساطة وصدق احساس ، واما بالارتفاع عن مستوى الواقعية الى مسرح الرمز والمثالية . ولقد اختار ييتس الاتجاه الأخير ، ودفع سـنج

ولادى جريجــورى الى الاتجــاه الأول فى محاولته لتدعيم المسرحية الشعرية الحديثة .

ولقد صادف هذا قبولا كبيرا لدى سنج الشاعر الحساس الذى كان لا يفتأ يهاجم مسرحية الأفكار الاجتماعية . ففى مقدمة مسرحية « زفاف السمكرى » انبرى سنج قائلا : « ان الدراما كالسمفونية لا تهدف الى أن تلقى درسا أو تبرهن على قضية من القضايا . ان الأطباء النفسيين بمشاكلهم ، والمعلمين بنظمهم يبدون وقــد تخلفوا عن ركب التقدم ، وأصبحت آراؤهم قديمة بالية ككتاب العقاقير الطبية لجالينوس . انظر الى ابسن والكتاب الألمان — لكن أعظم مسرحيات بن جونسون وموليير لن تفقد جدتها مثلها مثل التوت على أشجار ســور الحديقة » .

هذا التجاوب العميق بين سنج وخبرات الحياة فى جزر أران وجد أصدق تعبير عنه فى علاقة الانسان بالطبيعة التى تتخذ فى مسرحيات سنج نغمة صوفية ففى جمال الكون نرى قوة الخالق . انه شعور أشبه بفلسفة الشاعر الرومانتيكى وردزورث Wordsworth وان كان عند سنج لا يعد الأمر أكثر من كونه تعبيرا تلقائيا عن انفعال الانسان بالطبيعة . فالطبيعة تسيطر على عقول شــخوص وتحدد مصــائرها كما نرى فى

مسرحيتى « ظلال الوادى » و « الراكبون الى البحر » ، ثم هى اطار دائم يعكس احداث المسرحية كما نلاحظ فى « بئر القديسين » و « زفاف السمكرى » و « فتى العالم الغربى المدلل » ؛ ثم هى تسيطر على الشخوص فى « ديدرى فتاة الأحزان » .

ان هذه النظرة الى الطبيعة متأصلة فى التراث الأيرلندى على مر العصــور فالحيوانات والطيور والأشجار والزهور ليست مبعثا للمتعة فحسب بل هى جزء لا يتجزأ من حيــاة الانسان فى الجبال والوديان ، فالطبيعة عند سنج اذن ليست اطارا خلفيا لأحداث المسرحية كما هى الحال فى مسرحيــات الاغريق وكتاب العصر الاليزابيثى وغيرهم ، بل هى تلعب دورا ايجابيا فى سير الأحداث وتطور الشخوص .

وتختلف هذه العلاقة بين مسرحية وأخرى فالطبيعة فى مسرحية « بئر القديسين » صديق رحيم المشحاذين العميان . ان دفء الشمس وعبير الزهر متعــة كبيرة لهم ، كما تقول الشحاذة العمياء مارى دول لأخيها مارتن :

« اننى أسمع شقشقة العصافير آتية فى الربيع . ولسوف نحظى بدفء الشمس ، والهواء المنعش . انه لشىء عظيم حقا أن نجلس هنا فى هدوء وراحة نشم رائحة النباتات وهى تنمو وتزدهر » ..

حتى خيال الشحاذين يسبح دائما فى أحضــان الطبيعة الرحيمة :

« اننى أؤكد لك أننا نتمتع ببصيرة أكثر منهم ، وذلك عندما نجلس بعض الوقت نستمع الى الطيور وهى تشدو ، والنحل وهو يطنطن فى الأعشاب ، وعنـــدما نشم الرائحة العذبة الحلوة التى تبعثها الليالى الدافئــة ، وعندما نســمع الطيور وهى تغدو وتروح من فوقنا حتى تبدو فى خيالنا سماء عظيمة نرى فيهــا البحــيرات والأنهــار الكبيرة والتــلال الجميلة » ..

أما القديس الذى يحاول اعادة البصر اليهم فعلاقتــه بالطبيعة أعمق من هذا كما يبدو من حديثه لمارى ومارتن :

« انكما لا تنظران الى نفسيكما ، بل الى روعة روح الله متجلية فى التلال الشامخة ، والأنهار العميقة التى تصب فى البحر » .

أما فى مسرحية « ظلال الوادى » فالطبيعة تثير الرهبة والوحشة والفزع فالجبال الخاوية المكسوة بالضباب الثقيل ، والشمس الغــاربة وراء الأفق والســماء الداكنة والظلال الرهيبة — كل هذه لا تثير ، بطبيعة الحال ، جوا من الراحة . فنورا تعيش فى كوخ فى نهاية الوادى وكلها فزع من الوحشة

والظلام ، على حين أن الصعلوك قد ألف الضباب الكثيف وألف الوحشة حتى اندمج اندماجا كليا بالطبيعة فبدلا من شعوره بالوحشة والفزع نرى قلبه يفيض بالمعرفة والحب ، مثله مثل الراعى عند الشاعر وردزورث . وأجمل شىء فى المسرحية هو تحول نورا وتخلصها من الشعور باليأس والفزع وذلك بتأثير هذا الرجل الصعلوك الذى يجوب القفار دون مأوى . وها هو يحاول أن يزيل عنها الكآبة والقنوط :

ان المطر ينهمر ، لكن الهواء رقيق منعش . وسنحظى بصباح عظيم بعون الله ... سنرحل الآن ، كما أقول لك ، وعندما تشعرين بالبرد والصقيع والمطر الغزير ، عندما تشرق الشمس من جديد وتهب رياح الجنوب على الوادى ، لن تكونين وتتذاك فى هذا المستنقع الرطب تجلسين على هذا الحال وتدعين الأيام تمر والشيخوخة تقترب منك يوما بعد يوم . سوف تقولين يوما ما انه مساء عظيم ، يا لله . انه ليل عنيف ، يا ربى ، لكن كل شىء سيمر ويمضى ، بكل تأكيد .. » ..

أما فى مسرحية « الراكبون الى البحر » فالطبيعة تتجلى فى قوة البحر وجبروته فالبحر هو مصدر المأساة بل هو أقوى شخصية فى المسرحية ، هو قوة لا ترحم قد تلقفت أولاد

مورايا واحدا بعد الآخر . انه أشبه بالقدر عند الاغريق — القدر الذى فتك بميخائيل واخوته وترك أما مكلومة ؛ كما يبدو فى كلمات مورايا الحزينة ، بعد سماعها عن غرق آخر أولادها :

« لقد رحلوا جميعا الآن ، ولم يعد هناك شىء آخر يستطيع البحر أن يفعله معى » .

وفى مسرحية « فتى العالم الغربى المدلل » لا تظهر الطبيعة بشكل مباشر كما نرى فى المسرحيات السالفة فالأحداث هنا تجرى فى حانة من الحانات حيث يجتمع الناس ويتسامرون . رغم هذا فالشخوص التى تدخل الحانة تذكرنا بالطبيعة خارجها لدرجة تشعرنا باندماج الحياة خارج الحانة وداخلها اندماجا تاما .

وفى « ديدرى فتاة الأحزان » نرى الطبيعة جزءا وثيق الصلة بحياة الناس وحديثهم ونلمس أن هذا الارتباط له جذور عميقة فى التراث الشعرى والأسطورى الأيرلندى . وتبدو هذه العلاقة أقوى ما تكون فى لحظات الانفعال العاطفى فلاڤر تشام مربية ديدرى ترد على اتهام كونشيور بأنها لا تبذل جهدا لتدريبها على الحياة المستقبلة :

« انها ليست بحاجة الى أن تأبه بامرأة عجوز على حين أن

لديها الطيور تلقنها ، ولديها الغدران تسبح فيها تحت وهج الشمس .

وأينل يعقد قران ديدرى على نايزى قائلا :

« باسم الشمس والقمر والأرض كلها ، أزف ديدرى الى نايزى ... فليباركما الهواء ، والماء ، والرياح ، والبحار ، وكل أبراج الشمس والقمر » .

* * *

وراء هـذا التفاعل العميق بين الانسـان والطبيعة يكمن شعور قوى جارف بالجمال الزائل ، بقصر العمر ، والفناء . ولقد عبر سنج عن هذا الشعور فى احدى مقالاته عن جزر أران اذ وصف رحلة بحرية الى احدى هذه الجزر قائلا :

« كنا نركب قاربا صغيرا بثلاثة مجاديف . ولو أن الريح اشتدت أكثر مما كانت عليه وقتذاك لتعرضنا لخطر كبير . كنا نسير ببطء شديد حتى امتلأت السماء بالسحب وعصفت الريح قبل أن نصل الى الشاطىء . لقد شق القارب طريقه وسط هـذا الجو القاتم بمطره المنهمر وريحه العاتية ، الأمر الذى جعلنى أشعر بتلك الحالة النفسية التى تستولى على الانسان عندما يشتد الخطب ويدرك أن ما بقى من العمر قصير لا يكفى للتمتع بجمال العالم وروعته .. » .

لا غرابة اذن ، عندما نرى شخوص سنج تئن تحت وطأة هذه المشاعر . وحتى فى قمة انغماسها فى المتعة لا يخلو حديثها من الاشارة الى زوال الحيـاة ، ومقدم المشيب ، والوحشة والموت . وهكذا عندما يقع بصرنا على شخوصه نشعر فى الحال أنها تحاول ، كما كان يحاول سنج ، الفكاك من الظلال القاتمة للحياة .

* * *

ان هذه المواضيع الأسطورية التى اختارها سنج مـادة لمسرحياته والتى استمدها من الأدب الشعبى استخدم فى التعبير عنها أسلوبا يعتمد على اللهجة الأيرلندية التى يتخاطب بهـا سكان جزر أران . وكما يقول الكاتب الانجليزى نيكول « بعد عـودة سنج من باريس استمع الى لهجة الفـلاحين الأيرلنديين ، وفجأة اكتشف أن هذه اللهجة الانجليزية الغربية تزخر بالخيال الشاعرى الذى تتميز به العقلية الغالية Gaelic — اكتشف أنهـا وسيلة جميـلة مبتكرة للتعـبير عن أفكاره وعواطفه » . وهكذا لم يكتب سنج مسرحياته بالشعر ، بل بهذه اللهجة الشاعرية التى تتلاءم مع شخوصه ومواقفه .

هاك مثلا من بداية مسرحية « ديدرى فتاة الأحزان » :

المرأة العجوز : لم تأت بعد ، أليس كذلك ؟ وقد أوشـك الليل أن يخيم ؟

لافرتشام : كلا . (تخفى قلقها) ان الظلام مخيم نظرا لقدوم السحب من الغرب والجنوب ، ولكن ديدرى لم تتأخر أكثر من عادتها .

المرأة العجوز : لقد تأخرت ، بلا ريب ، سيما وقد سمعت أن أبناء أوزنا ، نايزى وأخويه ، فوق الجبل يطاردون الأرانب البرية ليومين أو ثلاثة ، وهم على هذا الحال فترة من الزمن منذ كان القمر بدرا .

ان هذا الأسلوب بسيط وصادق فى تعبيره عن الشخصية والمواقف المسرحية ، الا أنه لا يرقى الى مستوى التعبير الشعرى العميق . هنا يعلق الناقد پيكوك فى كتابه « الشاعر المسرحى » قائلا :

« انها شاعرية فى حدود معينة . انها ترتبط ارتباطا وثيقا بالفن الشعبى ، ولهذا الارتباط مساوئه . ان الخيال الشعبى تلقائى وجميل الى حد ما ، ولكنه لا ينقلنا الى أغوار بعيدة ، اذ أن البساطة والصدق فى التعبير لا يكفيان للتعبير عن الفن الناضج . وهنا يكمن قصور اللغة التى اختارها سنج وسيلة للتعبير ، اذ أن هذه اللغة لا تبارى الشعر المسرحى بما فيه من قوة ايحاء وتعبير عميق . فاذا قارنا أسلوب شيكسبير

أو حتى أسلوب وبستر بأسلوب سنج نجد الأخير يعانى من السطحية ... » .

ديدرى فتاة الأحزان

هناك روايات عدة لقصة ديدرى من المحتمل أن سنج قرأ بعضها ، وعلى الأخص القصة التى كتبها أندرو ماككيرتن فى سنة ١٧٤٠ ونشرتها مع ترجمة الى الانجليزية جمعية المحافظة على اللغة الأيرلنــدية . ان هذه الرواية تزخر بالأدب الشعبى فالمحبان يذهبان للقتال من أجل ديدرى وتنتهى المعركة بينهما بقتل ما لا يقل عن مائة وخمسين شخصا من كل جانب . كما أننا نرى حاشية الملك هنا وقد بلغ عددها ١٦٦٥ شخصا . ان سنج لا يميل بطبعه الى هذه البطولة الرومانتيكية . انه يؤثر البســـاطة ، ويرجح دنيـــال كوركيرى Daniel Corkery أن سنج قرأ قصة ديدرى التى كتبها الدكتور هايد وضمنها فى كتابه « التاريخ الأدبى لأيرلندة » . فى هذه الرواية نرى ديدرى أميرة ترعرعت ونالت من التعليم ما يناسب أميرة من الأميرات . وكذلك يبدو الملك ملكا حقا ، وأبناء أوزنا أمراء حقيقيين . قد يكون سنج قرأ هذه الروايات لقصة ديدرى ، لكنه صاغها فى قالب يتلاءم مع فنه وميوله فالملك عنده يخرج ويجيء برفقة شخص أو شخصين . كما أن الملك ، والأمـير والأميرة والجندى يتكلمون لهجة واحدة — لهجة ريفية تنبع

من القلب وعواطفه أكثر من اعتمادها على تعليم منظم . ان ملك سنج يشير الى نفسه على أنه ملك البلاد لكن بأسلوب فلاح ريفى اعتاد حياة الكوخ لا حياة القصور الفخمة . وهكذا نرى فى معالجة سنج لهذه القصة الشعبية ايجازا واقتصارا فى الأحداث وعدد الشخوص ، وتركيزا شديدا ، وبعدا عن البطولة الخارقة .

ثم ان سنج لم يركز على الأسطورة التى تعتمد على النبوءة القائلة ان ديدرى ستجلب الحزن الى ألستر بل سلط أضواءه على حب كونشبور لديدرى وحب ديدرى لنايزى ؛ أى أنه ، بعبارة أخرى ، ركز على الجانب الانسانى من الأسطورة ، الأمر الذى أضفى عمقا كبيرا لقصة ديدرى وجعلنا نشعر بالحسرة لوفاته المبكرة ، اذ أنه لو طال به العمر لكانت مسرحية ديدرى بداية مرحلة جديدة فى تطوره الفنى — مرحلة تتسم بتعمق أكثر فى تصوير الشخوص ورسم الحياة الانسانية وصدق التعبير . هاك ديدرى تهيل التراب على قبر نايزى وأخوته وتنتحب فى أسلوب عميق التأثير ، رغم بساطته :

« لقد كان نصيبك موتا نظيفا ، يا نايزى ؛ ولست أنا التى أتخلى عن رأسك ، وقد كنا نمضى الليالى المظلمة بين طيور الشنقب والسقساق نتهامس سويا . لست أنا التى أتخلى

عن رأسك ، يا نايزى ، وقد كنا نقضى الليالى الطوال نشاهد النجوم من خلال الأشجار اليانعة فى وادى رواده ، أو نشاهد التمـــر يستقر على سفوح التلال لكى يستريح من عنــاء المطاف » .

ان مسرحية ديدرى بداية مرحلة جديدة لا لما أصابه سنج من عمق التأثير فحسب بل أيضا لهذا الامتزاج الجميل بين العنصر الدرامى والعنصر الشعرى ، اذ أنه حتى هــذه اللحظة كانت النزعة الشعرية تغلب على مسرحياته . ان سنج فى هذه المسرحية يعطى امكانيات كبيرة للممثل والمتفرج على السواء عن طريق الحوار وتسلسل الأحداث . انظر مثلا الموقف الذى نرى فيه نايزى واخوته يقرعون باب الكوخ طلبا للمأوى :

لافرتشام : (مجفلة) من الطارق ؟

نايزى : (فى الخارج) نايزى وأخواه .

لافرتشام : اننا أناس نعيش بمفردنا . ماذا تريدون منا ، فى هذا الوقت المتأخر من الليل ؟

نايزى : لقد قابلنا فتاة شابة فى الغابة أخبرتنا أن بوسعنا أن نحتمى بهذا المكان اذا ما فاضت الأنهار على الدروب وتجمعت السيول من أطراف التلال .

لافرتشام : (تضم العجوز يديها مرتاعة) لا يمكنكم أن

تدخلوا .. فليس ثمة من يسمح لكم بالدخول هنا ، كما أنه ليس معنا فتاة شابة .

نايزى : دعينا ندخل ونتقى شر هذه العاصفة الهوجاء . دعينا ندخل . ولسوف نرحل بعيدا حين تنقشع السحب ..

* * *

ان الامكانيات المسرحية واضحة فى الحوار والموقف باثارته وسرعته التى تتجلى فى الجمل القصيرة اللاهثة المعبرة التى يصفها الناقد الأيرلندى دنيال كوركيرى بقوله انها معبرة للغاية لدرجة أننا نكاد نسمع الحوار عند قراءته .

* * *

أما أحداث المسرحية فتتسلسل فى وضوح واثارة . فنرى الفصل الأول يتميز بالايجاز والاثارة كما لو كان معزوفة موسيقية جيدة : فالملك يجلب هدايا الى الكوخ التى تختبىء فيه ديدرى حيث لا تفكر الا فى لهوها وجمالها . لقد فزعت عندما أخبرها الملك كونشبور أنه سيأتى ليأخذها معه الى ايمين Emain فى بحر يومين أو ثلاثة ليعقد قرانه عليها ، لكن ما ان رحل الملك حتى عقدت ديدرى العزم على شىء . لقد كان الليل وقتذاك عاصفا ممطرا يعكس انفعالات ديدرى

وما بدا عليها من تغير . لقد رأيناها فى البداية فتــاة تجمع الحطب من الغابة أو ترعى الأوز . أما الآن فهى تأمر أتباعها بأن يحضرن الهدايا التى جلبها الملك لها ، وتزين الغــرفة ، وتلبس أفخر ثيابها وتبدو كأميرة حقا . وسط هذا الجو المثير يسمع طرق مدو على الباب . انه نايزى وأخواه جــاءوا طلبا للمأوى حتى تهدأ العاصفة . تأخذهم الدهشة عندما لاحظوا ما فى الكوخ من ملابس غالية ، وجلود ثمينة وختم الملك على أكواب الشراب . عندئذ تدخل ديدرى ، ويتبع ذلك حب وزواج ، بينما يهطل المطر بغزارة خارج الكوخ .

أما الفصل الثانى فهو فصل تأمل وتدبر ملىء بطقوس الحب . وتبــدو فيه لحظة مثيرة عندما نرى ديدرى تسترق السمع لاعتراف نايزى حبيبها لفيرجس رسول الملك من أجل الصلح — اعترافه بأنه يخشى أن يأتى اليوم الذى يمل فيه صوت ديدرى ويخشى أن تلاحظ هى ذلك . فى تلك اللحظة تسقط الكأس من يدها وتنحنى لالتقاطها . بعد هــذا توافق على وساطة فيرجس للعودة الى ايمين هى ونايزى وأخويه رغم معارضة مربيتها لاڤرتشام التى ترى أن فى الأمر مكيدة أحكم تدبيرها ، رغم اعتراف وتحذير أوين قبل انتحاره .

أما الفصل الثالث فيكشف خديعة كونشبور « وقتــله

لنايزى وأخويه ، وثورة فيرجس ، وانتحار ديدرى حزنا على حبيبها . فى هذا الفصل يبدو قبر حفر حديثا — هذا القبر هو محور الحوار والاثارة والتأمل . هـاك ديدرى توجه الحديث الى نايزى وكونشبور ، وهى تنظر الى القبر : « أقول اننا نبدو ، ونحن على مقربة من هذا القبر ، ثلاثة أشخاص يعانون الوحشة ، وليس هناك انسان يفكر فى شفتى امرأة ، أو فى الرجل الذى يمقته ، وهو واقف بجوار مقبرة قد حفرت حديثا » .

من تسلسل الأحداث على هذا النحو تبدو بساطة الحبكة المسرحية حتى أننا نتوقع النهاية منذ البداية . ولا ننسى فى هـذا المجـال أن نذكر أن القصة معـروفة لدى الناطقين بالانجليزية عامة والأيرلنديين خاصة ، فهى أشـبه بالقصص الأسطورية التى عالجتها المسرحيات الاغريقية . لهذا فان أثرها على الجمهور يعتمد على مميزات أخرى غير تسلسل الأحداث ، أعنى على عمق العاطفة وصدقها ، على الشاعرية الجميلة ، وعلى ما تصـوره من انفعال الانسان بالطبيعة التى يعيشون فى كنفها . الحبكة بسيطة فى تطورها ، خالية من أى عنصر فكاهى أو أى تشعبات فرعية . فهى تتطور فى اثارة تارة ، وفى اتزان تارة أخرى حتى تصل الى قمة أزمتها حينمـا يتخطى الحب

والخلود حدود القبر والموت . ان نحيب ديدرى على موت نايزى ليعد أنشودة الحياة — أنشودة تنبع من معرفة وثيقة بالموت :

« اننى أرى ألسنة اللهب فى ايمين تندلع وسط الليل البهيم ؛ ولسوف يكون هناك بسببى قطط برية وبنات عرس تصيح فوق أطلال كانت مأوى لملكات وجيوش .. ثم سترى الأجيال قصة مدينة حل بها الدمار وملك أصابه الهذيان وامرأة سوف تظل فى ربيع العمر الى أبد الآبدين .. لقد نضوت عنى ثياب الحزن كما أخلع حذاء قد بلى واتسخ ، ذلك لأننى سوف أنعم بحياة يحسدنى عليها علية الأقوام .. (فى شىء من الشعور بالانتصار) لقد استمتعنا بأحلى أوقات العمر فى تلك الغابات المزهرة ، ولا شك أننا سوف نأمن غوائل الدهر فى القبر » .

* * *

مع هذه الحبكة البسيطة نلحظ اقتصادا فى عدد الشخوص فلا نرى الحشود الكبيرة أو الحاشية الضخمة . الا أن هذه الشخوص تمتاز بحيوية دفاقة تتجلى فى أفعـالها وحديثها فديدرى التى أولاها سنج عناية فائقة تبدو وكأنها شعلة تحرق من يحوم حولها . أينما تحل تثير الرياح ، على حد قول مربيتها العجوز . انها فتاة خلقت لتحب وتُحب . انها هى التى ألقت

بشباكها على نايزى الشاب الفنان الذى يثير غناؤه الحلو حقد الطيــور . انه قريب الشــبه بشخصية سنج نفسه فى حبه للموســيقى وتجوله فى الوديان والتــلال ، وحساســيته . أما كونشبور فهو شخصية تراچيدية تشعر بحيوية واندفاع نحو الحب خوفا من انطفاء الشعلة الباقية من حياته . انه يريد ارغام ديدرى على الاقتران به بعد أن عجز عن استمالتها بالهدايا الغالية . ورغم أن كونشبور شخصية حية الا أننا نشعر أن سنج لم يستطع أن يركز على الصراع فى نفس كونشبور وأن يرقى به الى مستوى الشخصيات التراجيدية الكبيرة أمثال أوديب ، وهاملت ، ولير ، وماكبث . أما شخصية أوين Owen فهو الاضــافة الوحيــدة من جانب سنج لشخصيات القصة الأصلية . وهو هنا يعلق على أحداث المسرحية ويلقى ضوءا على نقطة التحول ، محذرا المحبين دون جدوى . انه أشبه بشخصية البواب فى مسرحية ماكبث .

ولم يبق من شخوص المسرحية ســوى لاڤرتشام مربية ديدرى التى أخلصت وتفانت فى خدمتها ، ثم المــرأة العجوز التى تتفانى فى خدمة كونشبور ، وفيرجس أحد النبلاء الذين يمتازون بالشهامة والشجاعة ، وأخيرا أنيل وأردان اللذان صــحيا بنفسيهما فى سبيل ســعادة أخيهما نايزى . هــذه

الشخصيات الثانوية لم تتعـد كونها نماذج أو أنماط بشرية اذ لم يتعمق سنج فى تصويرها بشكل يجعلها حية فى مخيلتنا .

* * *

وراء قصة الحب ، ووراء الارتبـاط بالطبيعة ، نلحظ موضوعا رئيسيا يجرى فى ثنايا المسرحية ألا وهو الفزع من الشيخوخة . ان سنج رجل عليل يهدده الموت بالفناء ، فمن الطبيعى أن يشغل باله بالموت قبل الأوان — بالموت الذى يقطف الجمال ، ويحطم العبقرية . ان قلبه الذى يفيض بالعاطفة يشعر شعورا جارفا بالجمال الزائل وبعجلة الزمن وهى تجرفه وراءها السنين . لهذا تشعر شخوصه شعورا قويا بمقـدم المشيب وادبار الشباب وزوال المتعة . فهاك ديدرى تتساءل عما اذا كانت الحياة جديرة بالبقاء حتى تتروى ونكبر وتختفى متعة الحياة الى الأبد .

ان هذا الموضوع يربط أجزاء المسرحية جميعها ، كما أن الأحساس به هو الذى دفع نايزى وديدرى لقبول العودة الى ايمين — هذه العودة التى جلبت الدمار والخراب : وها هى ديدرى ترد على اعتراض انيل وأردان :

« انها مشيئتى .. ربما لا أحب لنايزى أن يصـير رجلا عجوزا فى أولبان والى جواره عجوز شمطاء ، فتشير الفتيات

اليهما بقولهن : هذان هما ديدرى ونايزى اللذان كانا يتمتعان بجمال أخاذ فى شبابهما » .

ان هذا الموضوع هو الذى يضفى على نهاية المسرحية نغمة الانتصار فالشباب قد انتصر بالموت ، والشيخوخة ممثلة فى كونشبور قد ولت الأدبار كسيرة الفؤاد لا تقوى علـى مواجهة الحياة . فديدرى تبكى موت نايزى وأخويه وترفع صوتها منتحبة :

« لن يرى ثلاثتكم بعد الآن شبح العمـر وهو يتقدم ، أو الموت وهو يزحف — أنتم الذين كنتم خير رفاق حين كانت النيران تخبو فوق قمم التلال فلا نسير الا فى رفقة النجوم » .
ثم بعد ذلك تصيح فى كونشبور بأن يبتعد عن قبر نايزى :

« ارتد قليلا عن نايزى الذى ينعم بالشباب الى الأبد . ارتد قليلا عن تلك الأجساد البضة التى أواريها تحت ربوة من التراب والأعشاب الذابلة — ربوة سوف تحتوينى أحد أركانها عندما تحين النهاية » .

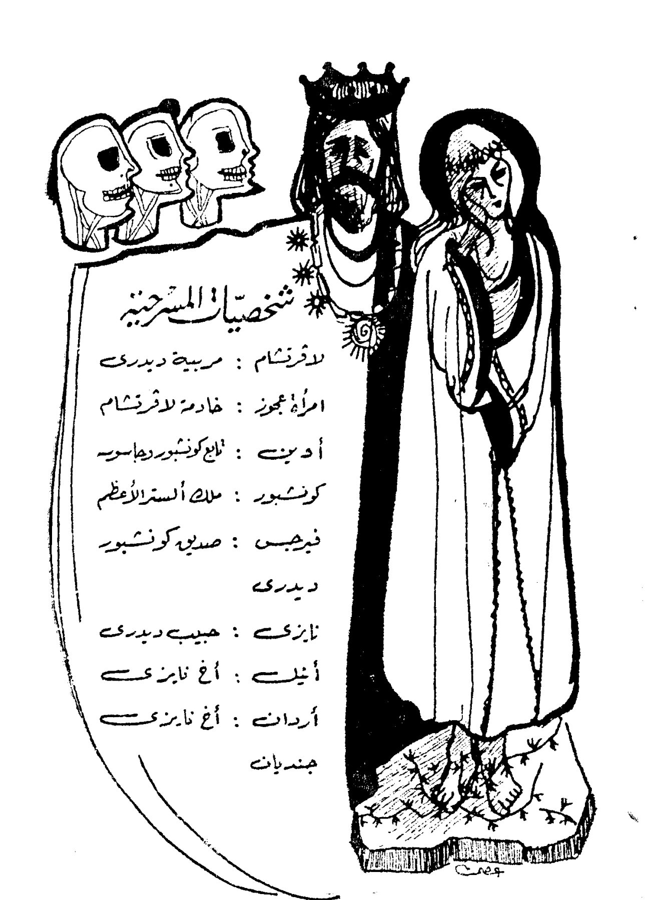
ان احساس سنج هذا نابع من واقع حياته اذ أنه عند كتابة هذه المأساة كان يدرك دنو أجله — الأمر الذى أكسب نظرته للحياة شفافية فرأى العالم يبرق ويسطع كاشفا من ورائه عالما من النور . وكان سنج ببصيرة الشاعر الفنان يرى ما وراء

الأشياء فيعرضه دون شرح أو تفسير . فهو لا يتحدث صراحة عن عالم ساطع بعد الموت بل انه يعرض صورة الحب الخالد فى عمق يوحى لنا بالشباب الدائم والحياة بعد الموت . ولقد تجلى هذا الاحساس أكثر ما يكون فى الفصل الثالث من هذه المسرحية .

* * *

ان روعة مسرحية « ديدرى فتاة الأحزان » تكمن لا فيما تثيره من أحاسيس وأفكار وايحاءات فحسب ، بل فى الجو والألوان والصور الطبيعية التى تضفى بريقا جميلا على الأشياء المألوفة . فجمال المسرحية الشعرى يستولى على خيالنا ، كما أن حديث شخوصها وتسلسل أحداثها والامتزاج الرائع بين العنصر الدرامى والعنصر الشعرى ، وتفاعل الشخوص مع طبيعة الريف الأيرلندى فى جزر أران كل هذا يستولى على مشاعرنا وينفذ الى القلب . وان كانت هذه المسرحية لم تكتمل الا أن تصميمها يوحى أن سنج كان عازما على انجاز مسرحية شعرية كبيرة ، لذا بدت هذه المأساة كسمفونية لم تتم حركاتها ، مثلها مثل حياة كاتبنا چون ملنجتون سنج .

١٩٦٤/٦/٢٩ **دكتور عبد الله عبد الحافظ متولى**


شخصيات المسرحية
لافرشام : مربية ديدرى
امرأة عجوز : خادمة لافرشام
أدين : تابع كونشبور وجاسوسه
كونشبور : ملك ألستر الأعظم
فيرجس : صديق كونشبور
ديدرى
نايزى : حبيب ديدرى
أنيل : أخ نايزى
أردان : أخ نايزى
جنديان

المنظر :

الفصل الأول : بيت لافرتشام فوق سليف فواده ٠

الفصل الثانى : أولبان ٠ الصباح البـــاكر فى أوائل الشتاء ٠ خارج خيمة ديدرى ونايزى ٠

الفصل الثالث : خيمة عند مدخل ايمين ماتشا ٠

الفصل الأول



بيت لاڤرتشام فوق جبل سليف فواده · ثمة باب يفضى الى غرفة داخلية الى اليسار ، وهناك باب آخر الى اليمين يؤدى الى الخلاء · نافذة الى الخلف واطار يحتوى على رقعة مطرزة لم تكمل بعد · كما توجد خزانة كبيرة وصندوق ثقيل من خشب البلوط على مقربة من الحائط الخلفى · المكان منسق ونظيف ولكنه عار من الأثاث · · لاڤرتشام ، وهى امرأة فى الخمسين من عمرها ، تشتغل فى الرقعة المطرزة · تدلف امرأة عجوز من جهة اليسار ·

المرأة العجوز : لم تأت بعد ، أليس كذلك ، وقد أوشك الليل أن يخيم ؟

لاقرتشام : كلا .. (تخفى قلقها) ان الظلام مخيم نظـرا لقدوم السحب من الغرب والجنـوب ، ولكن ديدرى لم تتأخر أكثر من عادتها .

المرأة العجوز : لقد تأخرت ، بلا ريب ، سيما وقد سمعت أن أبناء أوزنا ، نايزى وأخواه ، فـوق الجبـل يطاردون الأرانب البرية ليومين أو ثلاثة ، وهم على هذا الحال فترة من الزمن منذ كان القمر بدرا .

لاقرنشام : (بمزيد من القلق) لا قدرت الآلهة أن تقـع أبصارهم عليها — (باشارة تنم عن العجز) ومع ذلك لو شاءت الآلهة ، فليست مشيئتى هى التى جاءت بهم ، أو تستطيع أن تقصيهم عن هـذا المكان .

المرأة العجوز : (معاتبة) اذا لم تكن مشيئتك هى التى جاءت بهم فلا أقل من أن تكبحى جماحها ، وقد أصبحت امرأة على وشك أن تكون ملكة .

لاقرتشام : ومن ذا الذى يستطيع أن يكبح جماح أمثالها

وقد خلقت لتنفذ ارادتها فحسب ، ولولا هذه النبوءاتالتى قيلت عنها ، لتسنى لك أن ترى المتاعب التى ستجلبها حين يبنى بها ملك عجوز ، وهى التى لا تحفل بسوى جمالها ، ولا هم لها الا أن تنطلق فى التلال .

المرأة العجوز : فلتكن الآلهة فى عوننا جميعا .. ألا يجدر بها أن تقر عينا بأنها ستتزوج ملكا مثل كونشبور ، رغم أنه قد جاوز سن الشباب ؟ لست أدرى ماذا يهدف منوراء اقامتها فىهذا المكان الموحش بغية ترويضها ، أو ماذا يبغى من وضعى فى هذا المكان أطهو لها عشاءها فى حين أنهـا لا تأبه لطعامها قط .

(تتطلع الى الخارج)

لافرتشام : هل هى قادمة من الوادى ؟

المرأة العجوز : كلا . ولكن صه — ثمة رجلان يغادران أعشاب الرتم — (صائحـة) انه كونشبور وبصحبته فيرجس . لسوف يشتاط كونشبور غضبا هـذه الليلة حين يعلم أنها بالخارج .

لافرتشام : (تنسق الغرفة على عجل) هل هما على مقربة من هنا ؟

المرأة العجوز : يعبران الجدول ، بينما هى على سفح التل تحمل حزمة من الأغصان . أو أسرع بالخروج وأصلح من هيئتها قبل أن يقع بصرهما عليها ؟

لافرتشام : كلا ، لا تخرجى . أتريدين أن يلمحك ، وهو الذى تدب فيه الغيرة اذا طار صقر بينها وبين الشمس المشرقة . (تتطلع الى الخارج) اذهبى الى المدفأة وانهمكى فى العمل كما لو كنت لم تريهما على الاطلاق .

المرأة العجوز : (تجلس لكى تصقل أحد الأوانى) سوف تنشب بعض المتاعب هذه الليلة ، اذ تنبىء الطريقة التى يخطو بها عن انحراف مزاجه ، كما أنه يهز يديه هزا .

لافرتشام : (وقد ضاقت ذرعا بالأمر كله) قد يكون من الأفضل أن يحتد عليها هى ، وأن يسارع بوضع حد للأمور ، فقد حار فكرى بين الاثنين . (تعود الى الرقعة المطرزة) ها هما قد وصلا الآن الى الباب .

(يدلف كونشبور وفيرجس)

كونشبور وفيرجس : فلترعكما الآلهة .

لافرتشام : (تنهض وتنحنى محيية) فلترعكما الآلهة ولتحطكما بعنايتها ، وتحل بينكما وبين كل أذى على الدوام .

كونشبور : (يلتفت حوله) أين ديدرى ؟

لافرتشام : (تحاول التحدث فى غير اكتراث) خارج الدار فوق سليف فواده . انها تنطلق فى كل الأوقات تقطف الزهور ، أو تجمع ثمار البندق ، أو تحمل الأغصان ، ولكن طالما أنها تقطف حياة جديدة ، فليس من حقى ، فى اعتقادى ، أن آبه بها ، وهى تنفذ مشيئتها .

(فيرجس يتحدث الى المرأة العجوز)

كونشبور : (فى جفاء) ان ليلة على وشك أن يقصف فيها الرعد ليست ليلة مناسبة للخروج .

لافرتشام : (أكثر ضيقا) انها خبيرة بكل درب ومسلك ، ولن يرض البرق نفسه أن يرسل لهيبه لكى يشوه مثل هذا الجمال .

فيرجس : (مبتهجا) انها على حق ، يا كونشبور ، فلتجلس ولتسترح . (يخرج حافظة من تحت عباءته)

ولسوف أحصى ما أحضرناه ، ثم نضعه فى الخزائن بالداخل .

(يدلف الى الغرفة الداخلية فى صحبة المرأة العجوز)

كونشبور : (يجلس وينظر فيما حوله) أين البسط والستائر والأوانى الفضية التى أرسلتها لديدرى ؟

لافرتشام : ان البسط والستائر محفوظة فى هذه الخزانة يا كونشبور . ولقد قالت ديدرى انها لا تريد أن تلوثها ، وهى تهرع الى الخارج والداخل وقد علق الوحل والحشائش بقدميها ، خاصة وأن المطر يتساقط منذ ليلة (عيد الساقين)[1] . أما الأوانى الفضية والأقداح الذهبية فقد وضعناها فى الصندوق وأوصدناه عليها .

كونشبور : فلتخرجيها من الصندوق ولتستعمليها منذ اليوم.

---

(١) أحد الأعياد الأيرلندية القديمة الذى كان يطلق عليه اسم عيد « الشمس الغاربة » ، أو « الصيف الراحل » ، وكان يقام فى أول نوفمبر من كل عام ، أى فى بداية السنة الكلتية . وفى هذا العيد كان العرافون يتكهنون بالنبوءات ، كما كان الناس يعتقدون أن الأشباح والأرواح الخبيثة تنتشر على وجه الأرض فى تلك الليلة . (المترجم) .

لافرتشام : سمعا وطاعة ، يا كونشبور .

كونشبور : (ينهض ثم يتجه الى الرقعة المطرزة) هل هذا من عملها ؟

لافرتشام : (مسرورة للتحدث عن الرقعة) نعم ، يا كونشبور . الكل يقول انه ليس ثمة من يضارعها فى تخيل الأشكال وخلط اللون الأرجوانى باللون القرمزى ، وهى تزين حواشيها طوال الوقت بألوانها الخضراء والذهبية .

كونشبور : (فى لهجة تنم عن بعض الضيق) هل تلتزم جادة العقل فى سلوكها وتدأب على العمل منذ مرورى آخر مرة ، وهل هى تتأهب لحياتها المقبلة فى ايمين ؟

لافرتشام : (فى جفاء) ان هذا سؤال لن يسرّ له خاطرك أو خاطرى كثيرا . (يستقر عزمها على أن تتحدث فى صراحة) اذا كنت تبغى أن أصارحك القول ، فانها قد بلغت درجة من التعقل بحيث لا تستطيع أن تتزوج ملكا مسنًا وهى لم تتجاوز العشرين بعد . لا تحمل هذا القول محمل الاساءة ، يا كونشبور ، ولكنك لن تكسب كثيرا من

رؤيتك لها الليلة ، اذ رغم كل ما أسوق لها من حديث قد ازدادت عنادا فى الشهرين أو الثلاثة الأخـيرة .

كونشبور : (فى صرامة ، وان كان يشعر بالارتيـاح لأن الأمور لم تزدد سوءا) أليس من دواعى الأسف أنك لا تبذلين جهدا كبيرا فى سبيل تدريبها على مجابهة حياتها المقبلة ؟

لافرتشام : لقد خدمتك زهاء أربعين سنة ، وانى أؤكد لك الليلة ، ياكونشبور ، أنها ليست بحاجة الى أن تأبه بامرأة عجوز على حين أن لديها الطيـور تلقنها ، ولديها الغدران تسبح فيها تحت وهج الشمس . اننى على يقين لو أنك أبصرتها تلك المرة ، ببشرتها البضة ، وشـفتيها الناريتين ، والمياه الزرقاء تترقرق من حولها يسبح فيها نبات السرخس ، لما داخلك الشك ، وان كنت الشراهة بعينها ، فى أنها لم تولد لمثلك على الاطلاق .

كونشبور : لست أبالى كثيرا بما ولدت من أجله ، فستصبح قرينة لى ، لا ريب فى ذلك .

(يفحص صندوق أدواتها)

لافرتشام : (يستبد بها الحزن مرة أخرى) أخشى أن يصدق قول الناس فى أنها سوف تجلب الدمار على العالم ، اذ أنه لشىء محزن أن ترى رجلا مكينا يوجه طاقة حبه الذى يشعر به نحو حدث صغير أو امرأة ناضجة ، الى فتاة مثلها ؛ وانه لشىء محزن ، ياكونشبور ، أن ترى ملكا عظيما يسلك مسلكك اليوم ، وأنت تعبث فى ابرها وتحصى عدد خيوطها .

كونشبور : (ينهض) لا تشتطى فى الحديث ، وأنت نفسك قد طعنت فى السن . (يذرع الغرفة جيئة وذهابا) هل تعلم ديدرى بما تتكهن به النبوءات من متاعب ؟

لافرتشام : (فى نغمة حديثها السالف) اننى أنبئها مرة بعد أخرى ، ولكن كأننى أتحدث الى حَمَل يبلغ من العمر عشرة أسابيع وهو يشب فوق التلال .. ان خشية الموت أو المتاعب لا تروض من هو على شاكلتها .

كونشبور : (يتطلع الى الخارج) انها قادمة الآن ، اهرعى الى الداخل وامنعى فيرجس من الخروج حتى أتحدث اليها برهة .

لافرتشام : (تذهب الى اليسار) يحسن آلا تحتد عليها أو توجه اليها اللوم على الاطلاق ، ولو كان فى قولى هذا ما يكدّرك .

كونشبور : (فى لهجة غاية فى الجفاء) لست بحاجة الى ذلك . اننى جد مسرور بأنها نشطة طلقة المحيا .

لافرتشام : (تتكدر من نغمته) أجدّ مسرور أنت ؟ (فى لهجة تنم عن التهكم) انه لأمر غريب أن يقول أمثالى الصدق ، بينما يداوم الحكماء على قول الكذب .

(تدلف الى الحجرة التى الى اليسار . كونشبور يصلح من هيئته لبرهة امام المرآة ، ثم يتجه ناحية اليسار قليلا ويأخذ فى الانتظار . تدلف ديدرى فى ثياب متواضعة ، وهى تحمل بين ذراعيها حقيبة صغيرة وحزمة من الاغصان الصغيرة . تنتابها الدهشة لحظة حين يقع بصرها على كونشبور ، ثم تنحنى احتراما له ، وتتجه الى المدفأة دون أن يبدو عليها أى ارتباك)

كونشبور : فلترعك الآلهة ، يا ديدرى . لقد جئت اليك بخواتيم وحلى من ايمين ماتشا .

ديدرى : فلترعك الآلهة .

كونشبور : ماذا أحضرت معك من التلال ؟

ديدرى : (متمالكة نفسها تماما) حقيبة مليئة بالبندق ، وأغصان لنيراننا حين نوقدها عند مطلع النهار .

كونشبور : (يبدو عليه الضيق رغما عنه) وهل هذه هى الطريقة التى تتلقين بها آداب السلوك التى تجعلك خليقة بأن تكونى ملكة ألستر ؟

ديدرى : (تشعر بشيء من التحدى من جراء نغمته) ليست لى رغبة من أن أصبح ملكة .

كونشبور : (فى لهجة تكاد تكون ساخرة) انك تودين أن ترتدى ملابسك الشهباء والسمراء وأنت تسوقين أسراب الأوز أو قطعان العجول الى حظائرها — شأن السوقة المنتشرين فى أرجاء الوديان .

ديدرى : (فى تحد بالغ) كلا ، لا أود ذلك ، يا كونشبور (تتجه الى الرقعة المطرزة ، ثم تشرع فى العمل) ان فتاة تربت مثل تربيتى خليق بها أن ترغب فى الزواج من شخص على شاكلتها .. قد يكون رجلا ذا شعر أسود فاحم ، وبشرة تضارع لون الثلج ، وشفتين اصطبغتا بلون الدم المسكوب .

كونشبور : (يدرك خطأه ، فيسكت هنيهة ، ثم يستخدم

لهجة يشـيع فيها التمـلق ، وهو يتطلع الى شغلها) مهما تكن رغبتك ، فليس هناك ملكة لا تود أن يكون لها مثل مهارتك فى انتقاء الألوان ورسم الصور على القماش (يتطلع عن كثب) ماذا ترسمين من أشكال ؟

ديدرى : (فى تؤدة) ثلاثة شبان يقتنصون الحيوان فى غابة يانعة .

كونشبور : (يغلب التوسل على لهجته) لن يمض وقت طويل حتى يكون لديك كلاب ذات سلاسل فضـية للقنص فى غابات ايمين ، اذ أن لدى كلاب صيد بيضاء قد ربيت خصيصـا من أجلك ، ولدى خيولا رمادية اللون قد انتقيتها من بين أجود الأصناف فى ألستر وبريطانيا وبلاد الغال .

ديدرى : (لا يبدو عليها التأثر كما هو شأنها من قبل) لقد سمعت أن نايزى واخوته ليس لهم مثيل فى القنص سواء فى ألستر أو فى بريطانيا أو فى بلاد الغال .

كونشبور : (بوقار بالغ) أليس من الغريب أن تتحدثى عن نايزى واخوته ، أو ترسمين صورهم فى الوقت

الذى تعلمين فيه بأمر تلك النبوءات الشائعة عنك وعنهم ؟ ومع ذلك فانك لا تملكين من المعرفة الا النزر اليسير ، وانى لأخطىء اذ أحمل مسلكك محمل الاساءة فى الوقت الذى يتعين علىّ منذ الآن أن أيسر لك السبيل بحيث لا تحتاجين الى أن تقلقى بالك من أجل توفر المعرفة أو نقصها على السواء .

ديدرى : جدير بك أن تكون حكيما ، لا ريب فى ذلك .

كونشبور : ان أمثالى يمتلكون حصيلة من المعرفة لا تعدو أن تكون حملا ثقيلا وفزعا كبيرا . ومن أجل هذا يقع اختيارنا على أمثالك ممن لا يتسمن الا بالشباب والبهجة فحسب .. اننى أعتقد أنك مفعمة بالسرور ممتلئة بالحيوية كل يوم من أيام السنة ، أليس كذلك ؟

ديدرى : لست أدرى اذا كانت هذه هى الحقيقة ، يا كونشبور . ثمة أيام موحشة وليال حالكة فى هذا المكان شأن غيره من الأماكن .

كونشبور : ينبغى ، فى اعتقادى ، أن يكون نصيبك من الأيام الحزينة قليلا ، تماما مثل نصيبى من الأيام السعيدة الهانئة .

ديدرى : وما حاجتك فى أن تفد دوما الى هذا المكان ، بينما نسمع العجائز يرددن قولهن ان الانسان الصالح سعيد كالملوك ؟

كونشبود : وكيف تتسنى لى السعادة بينما أرى الشيخوخة تسرى فى أوصالى كل عام ، وحين تقبل الأوراق اليابسة على بوابة ايمين ، ثم تدبر عنها ؟ ومع ذلك ، دأبت على أن أقول لنفسى طيلة هــذه الفترة الأخيرة ، حين أرى أعواد الرتم تتقصف وغربان الزرع تحط جماعات على أشجار الدردار على مقربة من كثبان ايمين ، أقول لنفسى ان ديدرى قد اقتربت عاما من عمر النضوج قبل أن تصبح قرينتى وشريكة حياتى ، وحينئــذ يتحقق لى السرور والبهجة .

ديدرى : (تكاد تخاطب نفسها) لن أكون قرينة لك فى ايمــين .

كونشبود : (لا يعير قولها اهتماما) هناك سوف تفخرين وتسعدين ، وتتعلمين أنه اذا كان الشبان قناصين مهرة فلسوف تجدين من أمثالى اعترافا بقيمتك التى لا تقدر بثمن . ان كل ما نحتاج اليه هو

مكان يتوفر فيه الأمن والعظمة ، وهـذا هو ما سوف تحصلين عليه فى ايمين فى ظرف يومين أو ثلاثة .

ديدرى : (مشدوهة) يومان !

كونشبور : لقد أمرت باعداد الغرف ، ولسـوف يصحبك رجالى الى هناك فى بحـر فترة وجيزة ، لكى تصبحى ملكتى وملكة مقاطعات أيرلندا الخمسة.

ديدرى : (تهب واقفة مذعورة وهى تتوسل) أفضل أن أظل فى هذا المكان ، يا كونشبور .. دعنى فى هذا المكان ، حيث تعودت على دروبه ومسالكه، وعلى سكان ودبانه .. فلا ريب فى أننى خلقت لمثل هذه الحياة .

كونشبور : سوف تكونين أسعد حالا وأعظم مكانة فى كنفى بايمين . لسوف أكون رفيقا لك ، وأحول بينك وبين تلك المتاعب الهـائلة التى تتكهن بهـا النبوءات .

ديدرى : لن أكون ملكتك فى ايمين طالما أننى أجد البهجة فى التمتع بحريتى على سفوح التلال .

كونشبور : لكم أرغب فى أن تكونى ملك يمينى فى أقرب حين ؛ لقد سئمت واستبد بى التعب من طول

التفكير فى اليوم الذى تجيئين فيه الىّ ، وأراك فيه تذرعين ردهاتى الفسيحة الخاوية . لقد أعددت العدة لكى تكونى لى ، ومع ذلك يجمع الكل على أن ثمة مخاوف تساورنى فى أن أفتقدك وأتجشم متاعب مروعة فى النهاية . من أجل ذلك ، يا ديدرى ، أتوسل اليك أن تسرعى فى المجىء ؛ وانى أعدك وعد رجل لا يعرف الكذب أنك لن تجدى مع أى شخص آخر مثلما أهيئه لك من أسباب النعيم ، رغم ما أعانيه من وحشة وحيرة يملكان علىّ نفسى .

ديدرى : لا أستطيع أن أذهب ، يا كونشبور .

كونشبور : (فى لهجة تنم عن الانتصار) ان مشيئتى أن تكونى لى ، وأنا رجل قد طال بى العهد على عرش ألستر . ألا تؤثرين أن تكونى رفيقة حياتى ، تشبين مثل ايمير ومايقى ، على أن تعيشى فى هذا المكان فتظلين طفلة على الدوام ؟

ديدرى : انك لا تعرفنى حق المعرفة ، ولسوف أجلب لك قليلا من السرور اذا ما أخذتنى ، ياكونشبور .. لقد عشت زمنا طويلا أرقب الأيام وهى تمر بى ،

سراعا ، كما اعتدت أن أنفذ ارادتى طيلة هـذه الأعوام ، وهذه هى الكيفية التى سوف أعيش بها دواما .

كونشبور : (فى جفاء) نادى على فيرجس لكى يحضر الىّ . هذه هى آخر ليلة لك فوق سليف فواده .

ديدرى : (متوسلة) اتركنى ردحا آخر من الزمن ، ياكونشبور ، أليس من دواعى الأسف أن أعجل بذهابى ، بينما تتكهن النبوءات بكل هـذه المتاعب لى ؟ دعنى سنة يا كونشبور ؛ فليس ما أطلبه بالشىء الكثير .

كونشبور : انه لمطلب كبير أن تدعينى أنتظر أربعة وأربعين أسبوعا وأنا متلهف لسماع صوتك فى ايمين ، بينما تظلين أنت فى هذا المكان يستبد بك التهيب والوحشة . اننى رجل ناضج ، وعاشق ولهان ، فضلا عن أننى ملك ألستر ، يا ديدرى. (ينهض) سوف أنادى فيرجس ، ولسوف نجعل ايمين معدة لاستقبالك فى الصباح .

(يتجه ناحية الباب الذى الى اليسار)

ديدرى : (تتشبث به) لا تناده ، يا كونشبور .. عدنى

بأن تتركنى عاما واحدا فى هدوء .. اننى لا أطلب منك سوى عام واحد فحسب .

كونشبور : لسوف تطلبين عاما آخر فى العام القادم ، ثم عاما آخر فى الأعوام التى تليه . (مناديا) فيرجس ! (مخاطبا ديدرى) ان الفتيات يتمهلن دائما ، ولذا فان عشاقهن هـم الذين يبتون فى الأمر - (مناديا) فيرجس !

(تقفز ديدرى نافرة بينما يدخل فيرجس مع لافرتشام والمرأة العجوز)

كونشبور : (مخاطبا فيرجس) ثمة عاصفة قادمة ، ويحسن بنا أن ننصرف الى قومنا والليل ما زال فى بدايته .

فيرجس : (مبتهجا) فلتحمك الآلهة ، يا ديدرى - (مخاطبا كونشبور) لقد تأخرنا بالفعل - ولا يليق بالملك الأعظم أن يخطو فوق المعابر الحجرية [1] ويخترق الدروب الوعرة حين تنهمر السيول والأمطار .

(يساعد كونشبور على ارتداء عباءته)

---

(١) حجارة توضع للخطو فوقها حيث يكون الوحل أو الماء .

كونشبور : (مسرورا لأنه قطع برأى فى الأمر — مخاطبا لافرتشام) نفذى أوامرى بضعة أيام أخر ، ولسوف يحضرك رجالى الى ايمين ، فى صحبة ديدرى .

لافرتشام : (ممتثلة) أوامرك مطاعة على الدوام .

كونشبور : فلتحمك الآلهة .

(ينصرف مع فيرجس • توصد المرأة العجوز الباب)

لافرتشام : (تتطلع الى ديدرى التى غطت وجهها) ألم أقل لك أنك سوف تفعلين ذلك ؟ لقد عجلت بزواجك دون أن تكترثى بقول من هم أرجح منك عقلا .

ديدرى : (فى اضطراب) لست أنا التى فعلت ذلك . هلا أبعدتنى عن هذا المكان ، يالافرتشام ، وأبقيتنى آمنة فى التلال ؟

لافرتشام : لسوف يرسل من يتعقبنا ويعثر علينا فى غضون نصف نهار ، وحينئذ تصبحين ملكته رغما عنك ، ثم يقطع دابرى ودابر قومى .

ديدرى : (يستبد بها الفزع وقد تجلت الحقيقة أمام ناظريها) أو ليس هناك من يستطيع التصدى لكونشبور ؟

لاڤرتشام : ليس هناك سوى مايڤى ملكة كونوت ، ومن هم على شاكلتها .

ديدرى : هل يستطيع فيرجس أن يقف فى وجهه ؟

لاڤرتشام : قد يستطيع ، اذا ما ثارت ثائرته .

ديدرى : (فى صوت خفيض ، وقد انتابها اضطراب فجائى) هل يستطيع نايزى واخوته ؟

لاڤرتشام : (فى تبرم) كفى عن التمادى فى الحـديث عن نايزى واخوته .. فلن يكون فى مقدور أحـد أن يتصدى فى النهاية لكونشبور ، وان حديثنا هذا لهو ضرب من الحماقة ، فلو أن شخصا ما تعرض لكونشبور لجر على نفسه الأهوال ، وانتهى أجله قبل الأوان .

(تبتعد عنها ، بينما تجمـد ديدرى فى مكانها من فرط الاضطراب ، ثم تتجه الى النافذة وتطل منها)

ديدرى : هل غمرت المياه المعابر الحجرية ، يالاڤرتشام ؟ أو سوف تكون الليلة عاصفة فوق التلال ؟

لاڤرتشام : (تتطلع اليها فى عجب) لا ريب فى أن المياه قد غمرت المعابر الحجرية ، وأغلب ظنى أن الليلة

سوف تكون أسوأ ليلة شاهدناها طيلة السنوات الأخـيرة .

ديدرى : (تفتح خزانة الثياب وتخرج منها بعض الملابس والطنافس) ضعى هذه الحصائر والستائر قريبا من النوافذ وعند النضد لأقدامنا ، ثم اخرجى الأطباق الفضية والأقداح الذهبية التى لدينا . وكذلك قارورتى النبيذ .

لافرتشام : ماذا دهاك ؟

ديدرى : (تجمع أطراف أحد الثياب) عجلى ببسطهم ، يا لافرتشام ، فليس لنا أن نتلكأ الليلة . ابسطيهم على عجل ، ولسوف أدخل الحجرة لكى أرتدى الثياب الفاخرة والحلى الثمينة التى أرسلت لى من ايمين .

لافرتشام : ترتدين ثيابك فى مثل هذا الوقت ، والليلة معتمة تنهمر فيها الأمطار ! أو َ فقدت صوابك ؟

ديدرى : (تجمع أشياءها فى فورة من الاضطراب) لسوف أبدو كايمير فى دنديلجان ، أو مايفى فى دارها فى كونوت . واذا كان كونشبور يريد أن يجعل منى ملكة ، فلسوف يكون لى الحق فى أن أكون

ملكة جديرة بالسيادة ، تملك زمــام أمــرها وتذهب — ان شاءت — الى أقاصى البحار .. أبسطى الحصائر والستائر حيثما أقف الليــلة وأنظر فيما حولى . ابسطى جلود الكباش التى وردت من كونوت ، وجلود الماعز التى وردت من الغرب . لن أكون طفلة غريرة أو دمية من الدمى ؛ لسوف أرتدى من ثيابى أفخرها ؛ ولن يسوقنى آحد الى ايمين كما يسوق كوتشولين حصانه الى النير ، أو كما يضع كونول كيرنيتش درعه على ذراعه ؛ ولعلى أحيل رجال أيرلندا منذ اليوم الى مجرد رياح تهب على المروج .

(تدلف الى الغرفة . تنظر لافرتشام والمرأة العجوز بعضهما الى بعض ، ثم تتجه المرأة العجوز صوب باب الغرفة ، وترقب ديدرى من خلال فرجة الباب ، ثم تغلقه فى حرص)

المرأة العجوز : (فى همس يشوبه الخوف) لقد ألقت بالخرق البالية التى كانت ترتديها ، وها هى الآن عارية تماما ؛ انها تعقص شعرها فى جدائل وضاءة . أهى تهذى ، يا لافرتشام ؛ أم ترى لها الحق كل الحق فى أن تصبح ملكة نفسها مثل مايفى ؟

لافرتشام : (تعلق احدى الستائر فى اضطراب بالغ) انه أكثر من مجرد هذيان ، ذلك الذى ينتاب عقلها ، والا فأنا ضالة سواء السبيل ؛ غير أن لها الحق ، شأن غيرها من الفتيات ، فى أن تفعل ما يحلو لها، ولو قلبت الدنيا رأسا على عقب .

المرأة العجوز : (تساعدها فى تعليق الستارة) أسرعى قبل أن تعود .. من كان يظن أننا سننزل على ارادتها ، وهى التى كانت تلتزم الهدوء البالغ حتى هذه الليلة . هل سيتسنى للملك الأعظم أن ينتصر عليها يا لافرتشام ؟ لو أننى مكان كونشبور لما ارتضيت الزواج بمثلها على الاطلاق .

لافرتشام : علقى هذا على مقربة من النافذة . فلا ريب أن هذا سوف يسرها . وحين يقول التاريخ كلمته سيقرر أن من كان على شاكلتها يسود حتى آخـــر الزمان .

المرأة العجوز : (عند النافذة) ثمة جبل من السحب القاتمة يبدو فى السماء ، وقد انهمرت أغزر الأمطــار على الأرض طيلة هذه السنوات . فلتكن الآلهة فى عون كونشبور ، فلسوف ينقلب رجلا حزينـا

هذه الليلة ، بعد أن يصل الى قلعته وهو منشرح الخاطر يظن بينه وبين نفسه أنه سيحتويها بين ذراعيه خلال يومين أو ثلاثة .

لافرتشام : اننى أعتقد أن كونشبور لن يكتفى بالأسى والأسف قبل أن تنتهى فصول هذه القصة .

(يسمع طرق عال على الباب الذى الى اليمين)

لافرتشام : (مجفلة) من الطارق ؟

نايزى : (فى الخارج) نايزى وأخواه .

لافرتشام : اننا أناس نعيش بمفردنا . ماذا تريدون منا فى هذا الوقت المتأخر من الليل ؟

نايزى : لقد قابلنا فتاة شابة فى الغابة أخبرتنا أن بوسعنا أن نحتمى فى هذا المكان اذا ما فاضت الأنهار على الدروب وتجمعت السيول من أطراف التلال .

(تضم العجوز يديها مرتاعة)

لافرتشام : (فى فزع بالغ) لا يمكنكم أن تدخلوا .. فليس ثمة من يسمح لكم بالدخول هنا ، كما أن ليس معنا فتاة شابة .

نايزى : دعينا ندخل ونتقى شر هذه العاصفة الهوجاء .

دعينا ندخل ، ولسوف نرحل بعيدا حين تنقشع السحب .

لافرتشام : اتجهوا شرقا نحو الحظيرة ، واسوف تجـدون المأوى هناك . لن يمكنكم الدخول هنا .

نايزى : (يطرق الباب طرقات عالية) افتحى البـاب والا دخلنا عنوة .

(يهتز الباب)

المرأة العجوز : (فى همس يشوبه الوجل) أدخليهم ، واستبقى ديدرى فى غرفتها الليلة .

اينل واردان : (فى الخارج) افتحى ! افتحى !

لافرتشام : (مخاطبة المرأة العجـوز) ادخـلى واستبقيها هنالك .

المرأة العجوز : ليس فى مقـدورى أن أستبقيها ، اذ ليس لى سلطان عليها . اذهبى أنت ، ولسوف أفتـح الباب .

لافرتشام : يجب أن أظل هنا لكى أصرفهم .

(تشد شعرها وعباءتها فوق وجهها)

ادخلى واستبقيها .

المرأة العجوز : فلتعنا الآلهة .

(تهرع الى الغرفة الداخلية)

أصـوات : افتحى !

لافرتشام : (تفتح الباب) ادخلوا اذن ولكم الحظ العاثر ، اذا كانت هذه هى مشيئتكم .

(يدلف نايزى وأينل وأردان ويتلفتون فيما حولهم فى ذهول)

نايزى : ان هذا المكان ملك لرجل ثرى رغم عدم وجود قطعان على الاطلاق .

لافرتشام : (تجلس ورأسها نصف مغطـاة) ليس الأمـر كذلك ، ويحسن أن تنصرفوا على عجل .

نايزى : (فى جذل ، وهو ينفض قطرات المطر من على ملابسه) أو ننصرف وقد أسعدنا الحظ فى العثور على هذه الراحة والفخامة فى غياهب الليل ! لابد أن أحد أثرياء ألستر سوف يعود الى هنا بعد أن ينتهى من مطاردة الحيوانات فى الغابة . هل تسمحى لنا بالشراب ؟ (يتناول احدى القارورتين) نبيذ مَن هذا حتى يمكن أن نشرب نخبه ؟

لافرتشام : انه نبيذ شخص لا يحق لك أن تعرفه .

نايزى : فى صحتك اذن وطول عمرك .

(يصب بعض النبيذ لثلاثتهم ثم يجرعونه)

لافرتشام : (فى حنق بالغ) يا لكم من شبان عظام وأنتم

تتقبلون تحية لم تقدم اليكم ، وتوجهون أسئلة ليس لكم الحق فى توجيهها .. لو أتيح لكم مثلا مكان هادىء هيىء لمرحكم مع ملكة وادعة ، فكيف تنظرون الى شـباب يسترقون النظـر وينشرون الأكاذيب ؟ حين كنت فتاة صغيرة كان رجال ألستر يتحلون بأخلاق أفضل من هـذه الأخلاق ، وهم فى مثـل سنكم ، فى أوج طيش الشـباب . انها لحـكاية خليقة بالذيوع فى « تارا » [1] ، ان نايزى مدمن شراب ومتلصص على الناس ، وأن أينل يستحل شراب الغرباء .

نايزى : (بابتهاج بالغ ، وهو يجلس بجوارها) يجدر بك أن تعلمى وأنت فى مثل سنك هذا أن هناك ليالى يصدق فيها ملك مثل كونشبور على طوق الملك الذى حول ذراعه ، وتخرج فيها الملكات ألسنتهم صوب القمر الساطع . اننا فى مثل هذه الحالة الليلة ، ولسنا نطلب نبيذا فحسب . أين الشابة التى أخبرتنا أنه يمكن لنا أن نحتمى هنا ؟

لافرتشام : أو تظن أنك ستظفر بالاجابة على هذا السؤال ؟..

(1) مقر ملوك أيرلندا فى الأيام الخالية . (المترجم)

اننا قوم محتشمون ، ولست أرضى أن أطلقك فى أعقاب فتاة شابة ، حتى ولو أعطيتنى هذا المشبك الذهبى الذى يتدلى من صدر معطفك .

نايزى : (يناولها المشبك) أين هى ؟

لافرتشام : (تسر اليه فى همس ، وهى تضع يدها على ذراعه) عد الى التلال وسر فى ثانى منعطف حيث تجد ثلاثة منعطفات متجاورة . هناك سوف تشاهد طريقا فوق الصخور ، ومن ثم سوف تسمع نباح الكلاب فى البيوت ، ولسوف يرشدك نباحهم حتى تصل الى كوخ صغير عند أسفل شجرة من أشجار الدردار . هنالك تقطن فتاة صغيرة طائشة أغلب ظنى أنها الفتاة التى وقعت عليها أبصاركم .

نايزى : (جذلا) نخب صحتها ، اذن ، وصحتك !

اردان : نخب السنوات التى كنت فيها شابة مثلها !

أينـــل : (فى همس يشوبه الخوف) نايزى !

(يتطلع نايزى الى أينل فيومىء اليه • يتجه اليه فيشير أينل الى شىء ما على القدح الذهبى الذى يمسكه بيده)

نايزى : (يتطلع الى هذا الشىء فى دهشة) انه قدح الملك

الأعظم .. انى أرى طابعه على الحافة . هل يحضر كونشبور للاقامة هنا ؟

لافرتشام : (تهب واقفة فى ضيق بالغ) من قال أنه طابع كونشبور ؟ كيف يجسر شـبان حمقى مثلكم (تتحدث فى قحة شديدة) أن يأتوا الى هنا وهم يختلسون النظر ويجرون المتاعب على الخلق من أجل هفوة ارتكبتها فتاة ؟ ما الذى جاء بكم الى هذا المكان شاردين من ايمين ؟ (فى مرارة بالغة) لعلى بكم تظنون أن الشـباب يستطيعون أن يرتكبوا من الحماقة والطيش ما يحلو لهم دون أن يلومهم أحد ؟

تايزى : (فى رزانة بالغة) هل خفت وطأة المطر ؟

اردان : ان السحب تنقشع .. أستطيع أن أرى الجوزاء فى فرجة الوادى .

تايزى : (ما زال مبتهجا) افتحى الباب ولسوف نمضى الى الكوخ الصغير القابع بين شجرة الدردار وبين الصخور . ارفعى المتراس واجذبيه .

(تدلف ديدرى الى اليسار غاية فى الجمال، وهى ترتدى ثيابا بديعة خليقة باحـدى الملكات . تقف لحظة ، ثم تنادى فى رقـة ودعة بينما يفتح الباب)

ديدرى : نايزى ! لا تتركنى ، يا نايزى . اننى ديدرى فتاة الأحزان .

نايزى : (مشدوها) أهو أنت التى تجوبين الأحراش وتجعلين طيور السمان تحقد على السموات من أجل حلاوة صوتك وأنت تصدحين بالغناء ؟

ديدرى : لقد كنت أنا الفتاة التى تحدثت معها ، بلا ريب . (مخاطبة لاڤرتشام والمرأة العجوز) اصحبا أينل وأردان ، هذان الأميران ، الى الكوخ الصغير حيث تتناول الطعـــام ، وقدما لهما كل ما لذ وطاب . لدى أشياء كثيرة لنايزى وحده .

لاڤرتشام : (وقد تملكها رعب شديد من لهجتها) لسوف أفعل ذلك ، وانى لأرجو أن يصفحا عنى ، فقد سخرت منهما .

ديدرى : (مخاطبة أينل وأردان) لا تحملان طلبى اليكما المسير الى كوخنا لبعض الوقت محمل الاساءة . فلسوف تتناولان عشاء أعدته طاهية كونشبور ، ولسوف تقص عليكما لاڤرتشام نبـــأ مايشى ونيسا وروخ .

اينـــل : لسوف نطلب من لاڤرتشام أن تحكى لنا قصصا

عنك ، وبهذا سوف يروق لنا أن ننفذ مشيئتك .

(ينصرف الجميع فيما عدا ديدرى ونايزى)

ديدرى : (تجلس فوق المقعد المرتفع فى الوسط) تعال الى هذا المقعد ، يانايزى (تشير الى مقعد صغير بدون مسند) واذا كان مقعدا صغيرا واطئا فان الملك الأعظم يفضل أن يجلس عليه الليلة عن أن يجلس على عرش ايمين ماتشا .

نايزى : (يجلس) انك ابنة فدليميد التى حجزها كونشبور عن كل فتيان ألستر .

ديدرى : أو يعرف الكثيرون ما تتكهن به النبوءات : ان ديدرى سوف تجلب الخراب لأبناء أوزنا ، ثم تدفن نفسها فى قبر صغير ، وتصبح أسطورة تحكى على مدى الأيام ؟

نايزى : لقد مضى وقت طويل ، والناس يتحدثون عن ديدرى ، الفتاة الصغيرة التى تحظى بكل المواهب ، وذات الجمال الذى لا نظير له ؛ هناك الكثيرون يعرفون ذلك ، وهناك ملوك على استعداد لأن يبذلوا كل مرتخص وغال فى سبيل أن يكونوا مكانى الليلة وقد أصبحت ملكة يافعة .

ديدرى : ليس من عادتى أن أنادى على كثير من الرجال ، يا نايزى .. بيد أننى كنت فى الأحراش عندما كان القمر مكتملا ، فسمعت صــوتا يغنى وحينئذ جمعت أطراف ملابسى ، وهرعت الى ممر صغير مؤد الى حافة صــخرة من الصــخور ، وشاهدتك تمر أسفل الطــريق مرتديا معطفك القرمزى ، تغنى احدى الأغانى ، وأنت واقف خلف أخويك اللذين يطلق عليهما الناس زهرة أيرلنــدا .

نايزى : أمن أجل هذا ناديت علينا وقت الغسق ؟

ديدرى : (فى صوت خفيض) ومنذ ذلك الوقت ، يا نايزى، أصبحت كشاة تبحث عن حمل انتزع منها ، تارة أحسب النجوم تزداد بريقا ، وتارة أتوهم وجها جديدا للقمر ، ولكننى أخشى الذهاب الى ايمين فى كل الأوقات .

نايزى : (يجمع شتات نفسه ويبدأ فى الجفول قليلا) لابد أنك تشعرين بالوحشة فى هــذا المكان ، وأنت التى ولدت لتنعمى برفقة كثير من الصحاب.

ديدرى : (فى رقة) اننى الليلة فى رفقة خير الصحاب فى العالم بأسره .

نايزى : (ما زال يتحدث فى لهجة يشوبها قليل من الكلفة) اننى أنا الذى أحظى بصحبة خير الرفاق ، ذلك أنك حين تصبحين ملكة فى ايمين لن يكون ثمة نظير لك أو مثيل .

ديدرى : لن أكون ملكة فى ايمين .

نايزى : لا ريب فى أن كونشبور قد أقسم على أنك سوف تصبحين ملكة .

ديدرى : ربما من أجل هذا سميت ديدرى فتاة الأحزان الكثيرة .. اذ أن فى مقدورنا ، يا نايزى ، أن نحيا سويا حياة حلوة هانئة .. ما أجمل أن نملك خير ما فى الحياة وأغناه ، ولو لفترة وجيزة فحسب .

نايزى : (فى أسى بالغ) وليس أمامنا سوى فترة وجيزة يكتب لنا فيها النصر والبطولة .

ديدرى : ينبغى عليك ألا تذهب ، يا نايزى ، وتتركنى للملك الأعظم ، هذا الرجل الذى تتقدم به السنون وهو قابع فى حصنه تحيط به حشوده ، وذهبه ، وفضته ، من كل جانب . (بمزيد من السرعة) لن أحيا لكى أصبح حبيسة فى ايمين ،

أوَ لا نحسن صنعا ، يانايزى ، اذا ما دفعنا الثمن بالصمت والموت الوشيك ؟ (تهب واقفة وتسير مبتعدة عنه) لقد مضى علىّ وقت طويل وأنا فى الأحراش أهيم بمفردى ، لا أخشى الموت ما دمت أربح فى مقابله كنوزا خليقة بأن تجعل الشمس تحمر من فرط الحقد وهى تمتطى عنان السماء ، وتجعل القمر شاحبا يشعر بالوحشة وهو يذوب أسى وضنى . (تقترب منه وتضع يديها على كتفيه) أو ليس أمرا غير ذى بال ذلك الذى تتكهن به النبوءات عن هلاكنا ، يانايزى ، اذ أن كل الناس تتقدم بهم الأعمار ويكون مآلهم الهلاك المحقق آخر الأمر ؟

نايزى : ومع ذلك ، أليس من المؤسف أن أكون سببا فى وقوع قصة دامية وسقوط جثث هامدة وأن أودى بك الى وحشة القبر ؟ ألا نحسن صنعا اذا تريثنا ، يا ديدرى ، وتعاهدنا على أن نلتقى كل شفق على جوانب التلال ؟

ديدرى : (فى يأس) ان رسله قادمون .

نايزى : رسله قادمون ؟

ديدرى : صباح غد أو بعد غد ، على وجه التأكيد .

نايزى : اذن سوف نرحل بعيدا . ليس أنا الذى أفرط فى مثلك لكونشبور ، حتى ولو حفر قبرى ليكون مقرا لى قبل مضى أسبوع . (يتطلع الى الخارج) ان النجوم بازغة ، يا ديدرى ، فلتأتى معى على عجل ، اذ أن النجوم ستكون مصابيح لنا طيلة الليالى التى سنقضيها بعيدا فى أولبان ونحن نهيم بين الجزر الصغيرة فى البحر . لن يكون هناك مثيل للبهجة التى سننعم بها ، يا ديدرى ، أنت وأنا ، نترع من كأس الحب حتى الثمالة فى المساء ، وفى الصباح حتى تعلو الشمس فى كبد السماء .

ديدرى : ومع ذلك فاننى أخشى أن أغادر هذا المكان حيث ألفت العيش على الدوام . ألن أشعر بالوحشة وأنا أفكر فى تلك التلال الصغيرة هنالك ، وأشجار التفاح التى تينع ابان الربيع على مقربة من الباب ؟ (تتأثر قليلا بما حدث) أفلا ينتابنى فزع كبير حين أودى بك الى الهلاك ، يا نايزى ، وما زلت سعيدا فى شرخ الشباب ؟

نايزى : أتظنين أنه يطيب لى العيش بعـد هذه الليلة ، يا ديدرى ، وأنت مع كونشبور فى ايمين ؟ أتظنين أنه يطيب لى مطاردة الأرانب البرية بينما أتمثل شفتيك أمام ناظرى ؟

(تدلف لاڤرتشام وهما متشبثان بعضهما ببعض) .

لاڤرتشام : أتهذين ، يا ديدرى ؟ هل اخترت هذه الليلة لكى تجلبى فيها الدمار للعالم ؟

ديدرى : (بتؤدة بالغة) انه كونشبور الذى اختار هذه الليلة لاستدعائى الى ايمين . (مخاطبة نايزى) أحضر أينل وأردان ، وخذنى من هذا المكان ، اذ أن الفزع سوف ينتابنى من الآن فصاعدا كلما سمعت وقع أقدام أرنب عابر .

(ينصرف)

ديدرى : (متعلقة بلاڤرتشام) لا تحملى ذهابى محمـل الاساءة ، يا لاڤرتشام . لقد كنت صديقة مخلصة لى وهبتنى الحرية وأدخلت على نفسى السرور أثناء اقامتى فوق سليڤ فواده ، وقد يسرك يوما من الأيام أن تقولى انك قد ربيت ديدرى .

لافرتشام : (متأثرة) لن أكون جد مسرورة وأنا بعيدة عنك. أليس أمرا عسيرا ذلك الذى تقدمين عليه ، ولكن ما حيلتنا ؟ ان الطيــور تتزاوج فى كل ربيع ، والنعاج عند تساقط أوراق الخريف ، ولكن لابد من أن يكون لكل فتاة حبيبها على مــدار الأيام والليالى .

ديدرى : هل ستذهبين الى ايمين فى الصباح ؟

لافرتشام : لن أذهب . لسوف أتوجه الى براندن فى الجنوب، ومن يدرى لعلى ، بعد زمن وجيز ، أذرع البحار جيئة وذهابا فأذكر وجهك ، وأذكر معه ما تقدمين عليه من فعال بريئة لا يقوى على الاتيان بمثلها آحــد .

(يعود نايزى فى صـــحبة أينل وأردان والمرأة العجوز)

ديدرى : (تتناول يد نايزى) أخواى ، اننى راحلة مع نايزى الى أولبان والى الشمال لكى أواجــه المتاعب التى تكهنت بها النبوءات . آو تحملان النبأ الى كونشبور فى ايمين ؟

أينـــل : سوف نرحل معك .

اردان : سنكون لك خداماً وحراسا ، يا ديدرى .

ديدرى : ان الشجاعة ودماثة الخلق لا تقتصران على أخ واحد دون ثلاثتكم . هـل تعقـدين قراننا ، يالاڤرتشام ؟ انك تحفظين العبارات والمراسم اللازمة .

لاڤرتشام : كلا ، لن أعقد قرانكم . فكيف أرضى أن يكون لى يد فى الدمار الذى سوف يحيق بك ؟

نايزى : دعى أينل يعقد قراننا .. فقد ارتهن برفقة الحكماء وعرف طرائقهم .

اينـــل : (يضم أيديهما) باسم الشمس والقمر والأرض كلها ، أزف ديدرى الى نايزى . (يخطو الى الوراء ثم يرفع يديه) فليباركم الهواء ، والماء ، والرياح ، والبحار ، وكل أبراج الشمس والقمر .

ســـتار

الفصل الثاني

أولبان . الصباح الباكر فى أوائل الشتاء .
غابة خارج خيمـــة ديدرى ونايزى .
تدلف لافرتشـــام متشـــحة بعباءة .



لافرتشام : (تنادى) ديدرى .. ديدرى ..

ديدرى : (قادمة من الخيمة) مرحبا بك ، يالافرتشام .. قارب من هذا القادم من ألستر ؟ لقد شاهدت المجاديف من خلال ذرى الأشجار ، فاعتقدت أنك أنت القادمة الينا .

لافرتشام : لقد جئت والغيث ينهمر قبيل الفجر .

ديدرى : من هو القادم ، اذن ؟

لافرتشام : (فى أسى) لا تفزعى أو تحملى الأمر محمل الاساءة . انه فيرجس يحمل رسائل السلام من كونشبور يعرض على نايزى وأخويه أن يصطحبهم الى ايمين .

(تجلس)

ديدرى : (باستخفاف) ان نايزى وأخويه جد راضين عن هذا المكان ، فما الذى يدعوهم الى العودة الى كونشبور فى ألستر ؟

لافرتشام : ان من كانوا مثلهم لا يخشون الذهاب الى أى مكان يجدون فيه الموت محدقا بهم . (بمزيد من الاضطراب) انى أخشى أن يكون كونشبور عازما على أن يستأثر بك بعد أن يقتل نايزى ،

وهكذا يحل الدمار بأبناء أوزنا . قد أكون من الحماقة بحيث أخشى وقوع مثل هذه الأحداث، بيد أن هؤلاء الذين يكنون لك حبا عظيما لهم الحق فى أن يخشوا عليك دائما .

ديدرى : (بمزيد من القلق) لن تكون ايمين مكانا آمنا بالنسبة لى ولنايزى . أو ليس من دواعى الأسى أنهم لا يتركوننا فى سلام ، يالاڤرتشام ، ونحن ننعم بالأمن والدعة فى ظلال هذه الغابات ؟

لاڤرتشام : (فى تأثر) انه لشىء مؤسف ، حقا ، ولكن فلتعدينى أن تستحلفى نايزى بالأرض والشمس بازغة فوقها ، وبأوجه القمر الأربعة ، أنه لن يعود الى ايمين — بسلامة طوية أو بسوء نية — طالما أن كونشبور يتربع على عرش ايرلندا .. لا ريب فى أن هذا وحده هو الكفيل بضمان سلامتك .

ديدرى : (دون أمل) ليس فى طاقة القسم أن يمنع ما هو مقدر ، وليس فى مقدور ما أعمله ، يا لاڤرتشام ، أن يغير من قصة كونشبور ونايزى ، والأمور التى تكهن بها الشيوخ .

لاڤرتشام : (فى لهجة عدوانية) ألم تكن ثمة قدرة فيما فعلته ليلة أن ارتديت أفخر ثيابك وحليك وهربت مع نايزى رغم أنف كونشبور ، مما حـدا بكبار النبلاء أن يخشوا عليك من سوء حظك ؟ لقد كانت قدرة كافية من جانبك لأن تجلب لك الهم والقلق ، وهأنذا الآن أرشدك الى طريقة تنجين بها نايزى . ولكنك لا تحركين ساكنا فى سبيل معاونتى .

ديدرى : (فى شىء من الكبرياء) لا ترفعى صـوتك فى وجهى ، يالاڤرتشام ، حتى ولو كنت عازمة على أن تحرسى نايزى بنفسك .

لاڤرتشام : (تنفجر غاضبة) أتقولين نايزى ؟ لست أبالى اذا ما نهشت الغربان عظام فخذه فى مطلع النهار . اننى أريد أن أحول بينك وبين اليأس والنحيب، حين تهبين من نومك فتجدين فراشك باردا ، خاويا من الرجل الذى وهبته قلبك ، ومن أجل هذا تثور ثائرتى الآن . (يحتدم غضبها) ومع ذلك ، فان الأمر يخص رجالا آخرين الى جانب نايزى ؛ وربما كنت حمقاء فى تفكيرى فى الأخطار

التى سيتعرض لها ، فى حين أن التفكير فى ذلك اليوم خليق بأن يملأ نفسك رعبا وفزعا .

ديدرى : (بحدة) فلتنهى حديثك ، فان مثل هذا الحديث لا يصدر الا عن الحمقى ، بينما تعلمين علم اليقين أنه اذا أصاب نايزى أدنى ضرر فلن أستطيع العيش من بعده . (فى أسى) انك تعلمين تماما أننى أخشى هذا اليوم منذ سبع سنوات ، وأنا أقضى الليالى الهانئة أرقب فيها الأبقار عائدة الى حظائرها ترتسم ظلالها المديدة فوق العشب ؛ (يغلب عليها الانفعال) أو حينما كنت أستلقى فى ضوء الشمس فيتناهى الى سمعى وقع خطوات أينل وأردان يسيران سيرا وئيدا ، وهما يقولان : « هـل ثمة من يناظر ديدرى ، الملكة الناعسة الهانئة ؟ » .

لاڤرتشام : (لم تهدأ تماما) ومع ذلك سـوف تذهبين ، وسوف ترحبين بالذهاب ، اذا ما قبل نايزى ؟

ديدرى : اننى أعيش فى خوف سواء ذهبت أم بقيت ، يا لاڤرتشام . ان هذا المكان موحش لمن ينعم بمثل سعادتنا ، حتى أصبحت أتساءل كل يوم:

هل سيكون اليوم كالأمس ، وهل يتساوى الغد مع نفس اليوم من العام المنصرم ، ثم أسائل نفسى فى كل الأوقات عما اذا كانت حقيقة لعبة تستحق عناء اللعب أن تواصل العيش حتى تيبس عظامك وتدب الشيخوخة فى أوصالك ، ثم يذهب مراحنا الى غير رجعة .

لافرتشام : اذا كان هذا هو الذى يقلق بالك ، فاننى أؤكد لك أنه ليس ثمة ضرر كبير يلحق بالطاعنين فى السن ، رغم أن الفتيات والشعراء يهاجمون أطوار الشيخوخة هجوما عاصفا . (بانفعال) ليس هناك ضرر كبير اذا ما أصابك الهرم ، الا اذا نظرت الى الماضى ، مثلما أنظر اليوم ، ورأيت الشباب الذين تكنين لهم الحب يحطمون قلوبهم بحماقتهم وطيشهم . (تتجه الى ديدرى) فلتعدينى أن تحولى بين نايزى وبين الذهاب ، ولسوف يأتى اليوم الذى تفرحين فيه — وقد بدت عليك سمات المرأة العجوز ومن حولك أحفادك يتصايحون — أكثر من فرحى الذى أشعر به الليلة لو أننى أعطيت فمك الأحمر

القانى وذراعيك البضــتين ، وسرت فى دروب ضيقة بمفردى مع ملك لعوب .

ديدرى : لا ريب فى أن نصيبى من السعادة التى تنعم بها الشابة أو العجوز سوف يتضاءل منذ اليوم . ولكن ما جدوى حديثنا بينما يقف نايزى على الشاطىء مع فيرجس ؟

لافرتشام : (فى لهجة يائسة) لقد جاء تحذيرى بعد فوات الأوان ، اذ أن فى مقدور فيرجس أن يقنع القمر بأن يتخذ له مسارا جديدا فى السماء . (مؤنبة) لن تمنعيه اذن من الذهاب اليوم . أو ليس من العجيب أنك كنت ألما وعذابا ، منذ نعــومة أظفارك ، لهؤلاء الذين كانت حياتهم متعلقــة بصوتك . (يغلب عليها القلق ، تجمع أطراف عباءتها حولها) لا تحملى صياحى وعويلى محمل الاساءة ، فلست كالآخرين ، بل اننى ممن يرون عشرات من الجثث العارية دون أن يلقوا اليها بالا على الاطلاق ، ولكننى أحس بالانهيار وأنا أراك فى أوج فرحك ، بينما أرى النهاية وشيكة الوقوع لا محالة .

(يدلف أوين على عجل . ثيابه رثة مهلهلة بعض الشىء . ينحنى لديدرى)

اوين : (مخاطبا لاڤرتشام) ان رجال فيرجس ينادونك . لقد شاهدوك تسيرين فى الطريق ، ويود فيرجس ونايزى رؤيتك بشأن حديثهم على الشاطىء .

لاڤرتشام : (تنظر اليه نظرة تنم عن الكراهية) انك عاثر الحظ اذ تصادف صباحا كهذا . واذا كنت حتى قد جئت للتجسس علىّ فلسوف أذهب اليهما وأدلى برأيى الذى هم فى حاجة اليه دون شك .

(تنصرف)

اوين : (مخاطبا ديدرى) لقد عثرت عليك بمفـردك أخيرا ، وأنا أترقبك منـذ ثلاثة أسابيع أصبت خلالها بالحمى والربو من جراء البرودة القارسة التى تغشى أرجاء المستنقعات ، حتى رأيت نايزى منهمكا مع فيرجس .

ديدرى : لقد علمت بأنباء فيرجس ، فما الذى جاء بك من ألستر ؟

اوين : (الذى كان يفتش عن شىء ، يجد رغيفا من العيش فيجلس ويلتهمه فى شراهة وهو يقطعه بسكين كبير) القمر المكتمل على ما أعتقد ، وقد زاد عقلى خبالا . هل وجد ذلك الرجل الذى

يجتاز تسعة بحار فى أثر زوجة رجل أحمق ، وهو فى تمام عقله ؟

ديدرى : (شاردة الذهن) لابد أنه قد مضى وقت طويل على مغادرتك ايمين حيث يخاطب الناس ملكاتهم فى أدب ورقة .

اوين : لقد مضى وقت طويل ، بلا ريب . لقد ساءت أخلاقى فى هذه الأسابيع الثلاثة التى قضيتها بجانب الضفادع الكبيرة السكسونية عند حافة المستنقع . ان ثلاثة أسابيع فترة طويلة ، ومع ذلك فقد مضى عليك سبع سنوات وأنت ملازمة لنايزى وأخويه .

ديدرى : (تأخذ فى جمع ثيابها الحريرية ومجوهراتها) قد تكون ثلاثة أسابيع من أيامك فترة طويلة ، بيد أن سبع سنوات تبدو أمدا قصيرا لمن كان مثل نايزى ومثلى .

اوين : (فى لهجة تنم عن الاستهزاء) اذا كانت تبدو فترة قصيرة فليس ثمة كثيرون مثلك . ألم يك هناك ملكة فى (تارا) تجدّ فى السير كل صباح حتى تصادف رجلا غريبا وتلمح لهيب الغزل

يندلع من عينيه ؟ خبريني الآن (يميل ناحيتها) أو تشعرين بالسرور طيلة هذه المدة ونفس الرجل يغط فى نومه بجوارك عند مطلع كل صباح ؟

ديدرى : (فى هدوء بالغ) ولم لا أشعر بالسرور طيلة سبع سنوات أتملى فيها من منظر الشمس وهى تلقى بأشعتها فتنفذ خلال الأغصان عند مطلع الصباح؟ ان مما يذيب قلب العاقل أسى أننا لا نستمتع بنفس الأشياء سوى فترة وجيزة فحسب . (فى ازدراء) ومع هذا ربما تكون الأرض مكانا تعيسا حين يكون الانسان أحمق ثرثارا .

اوين : (فى حدة) حسنا ، على رسلك ، اختارى ما تشائين . ابقى هنا وتعفنى مع نايزى أو اذهبى الى كونشبور فى ايمين . ان كونشبور عجوز أحمق ذو كرش ضخم بارز وعينان ذابلتان يطلان من أسفل تاجه اللامع ؛ أما نايزى فلا بد أنه أصبح مبتذلا ومنهوك القوى . ومع ذلك فثمة طرق عديدة للخلاص ، ياديدرى ، وانى لأوثر أن يسلخ جلدى فى مستنقع من المستنقعات عن أن أواصل العيش دون نفحة عطف من مآقيك وكلمة

رقيقة من فيك . انه لمن دواعى الأسى أن يعيش الانسان وحيدا بحيث يود لو أنه غمر أنف كلب مسعور بقبلاته .

ديدرى : أليس ثمـة فتيات على شاكلتك تسـتطيع أن تصاحبهن فى ايمين ؟

آوين : (بانفعال شديد) ليس لك مثيل ، يا ديدرى . ومن أجل هذا أسألك عما اذا كنت عائدة اليوم مع فيرجس .

ديدرى : لسوف أذهب حيث يشاء نايزى .

آوين : (فى نوبة من الغضب) أهو نايزى ، نايزى ، أليس كذلك ؟ اذن أؤكد لك أنك سوف تشقين يوما من الأيام حين ترين نايزى وقد ذبلت عيناه اللتان تشبهان أعين الخراف ، وهو يصوبهما نحوك . هل تصدقين أن أبى اعتاد أن يقبـل لافرتشام بين شجيرات الرتم ونبات الخلنج ، والعصافير تزقزق من فوق رءوسـهم ، وها هى الآن تصلح لأن تروع غرابا أسود من فوق جيفة على التل . (تند عنه صيحة حزينة تشيع الوقار والهيبة فى صوته) ان الملكات يطعن ّ فى السن ،

يا ديدرى ، بعد أن تغيض الحيوية من أذرعهن البضة الممتلئة ، وبعد أن تتقوس ظهورهن . انى أؤكد لك أن من المؤسف أن يرى الانسان أنف ملكة وهو يتهدل حتى يلامس ذقنها .

ديدرى : (تتطلع الى الخارج ، فى شىء من القلق) نايزى وفيرجس قادمان فى الطريق .

اوين : سوف أنصرف ، اذ لو كنت مكان نايزى ، وكنت ملك يمينى سبع سنوات ، لشعرت بالغيرة عليك حتى من البعوض والغبار المنتشر فى الهواء . (يلف نفسه بعباءته ، يشيع فى صوته شىء من التحذير) سوف ألقى عليك لغزا ، يا ديدرى : لمَ لم يبلغ أبى من القبح والهرم ما بلغه كونشبور ؟ أو ليس لديك اجابة ؟ .. ذلك لأن نايزى قتله . (يبدو على ملامحه تعبير غريب) فكرى فى هذا وأنت ساهدة بالليل ، تستمعين الى نايزى يغط فى نومه ، أو ليلة أن تصل الى مسامعك قصص غريبة عن الأشياء التى أعملها فى أولبان أو ألستر .

(ينصرف ، وبعد لحظة يدخل نايزى وفيرجس من الناحية الأخرى)

نايزى : (مسرورا) لقد حمل فيرجس الينا رسائل السلام من كونشبور .

ديدرى : (تحيى فيرجس) مرحبـــا بك . فلتسترح ، يا فيرجس . لابد أنك تشعر بالحر والعطش بعد تسلقك الصخور .

فيرجس : لقد وجدتم عشا مشمسا فى أولبان ؛ وانه ليسر أى انسان أن يتسلق صخورا أكثر ارتفاعا مما تسلقت فى سبيل العودة بك وبنايزى الى ايمين .

ديدرى : (فى لهفة) هل وافقوا ؟ أو هم ذاهبون ؟

فيرجس : (برقة) كلا ، ولكننا حين كنّا شبابا كنا على استعداد لأن نضحى بعمرنا فى سبيل أن نقيم فى ايرلندا بضعة أسابيع ؛ وحتى اليوم لا ينغص عيش الطاعنين فى السن سوى ادراكهم بأنهم سوف يفتقدون بعد أمد قصير ، سماء أيرلندا المجيدة ، وصبحها الهادىء بطيوره التى تتصايح فوق المستنقعات . فلتأتى معى اليوم ، فليس ثمة مكان مثل أيرلندا يستطيع فيه الغيلى[1] أن يجد السلام والأمن على الدوام .

(١) نسبة الى الغيليين أو الكلتيين الذين ينتمى اليهم سكان ايرلندا واسكتلندا . (المترجم)

نايزى : (فى غلظة) هذا صحيح ، بلا ريب . ومع ذلك، فان حالنا أحسن فى هذا المكان طالما أن كونشبور مقيم فى ايمين ماتشا .

فيرجس : (يناوله بعض الأوراق) هاك تأكيدات مكتوبة وعليها خاتم كونشبور . (مخاطبا ديدرى) اننى شفيعك لدى كونشبور . لن يدوم شبابكما على مر الأيام ، ولقد حان الوقت الذى تستعدان فيه لاستقبال الأيام القادمة ، تشيدان بيتا منيعا على مقربة من بحار أيرلندا تؤويان فيه الأطفال الذين ستنجبهم زوجات أخويكما الأميرين . ليس مما يبعث على السرور أن تهيما على وجهيكما حتى تتقدم بكما السنون وتولى أيام شبابكما . ولذا فان من الخير لكما أن تأتيا معى الليلة ، اذ ستشعران بسرور بالغ وأنتما تطآن الأرض بأقدامكما قائلين : « اننا فى أيرلندا ، على وجه اليقين » .

ديدرى : لن أشعر هناك بالسرور طالما أن كونشبور يتربع على عرش ايمين .

فيرجس : (متكدرا) هل تشكان فى أختام كونال سيرنيتش

وملوك ميذ ؟ (يخرج بعض الأوراق من عباءته ويناولها لنايزى . فى لهجة أكثر رقة) من السهل أن يداخلك الخوف وأنت وحيد فى هذه الغابات، ولكن من المؤسف أن تستطيع امرأة هيــوب (يوجه الى ديدرى شيئا من اللوم) أن تثنى أبناء أوزنا عن أن يحيوا حياة الملوك . فلتفكرى فى السنين المقبلة ، يا ديدرى ، حين يحق لك أن ترى نايزى وقد أصبح قاضيا مهيبا أشيب الشــعر يجلس الى جوار ملك من ملوك ايمين . أليس أمرا مؤسفا أن تظل ملكة مثلك لا عمل لها سوى اضاعة وقتها سدى وهى تلهو فى ضوء الشمس مع أبناء الملوك ؟

ديدرى : (تشيح بوجهها فى شىء من التعالى) اننى أترك الخيار لنايزى . (تعاود النظر تجاه فيرجس) ومع هذا فانك تحسن صنعا ، يا فيرجس ، لو أنك تركتنا وشأننا ، من أجل سنك ، لكيلا تقــول لنفسك ، حتى ساعة الموت ، انك أنت الذى أديت بنايزى واخوته الى قبر حفرته يد الخيانة .

(تدخل الخيمة)

فيرجس : انه لمن دواعى الأسى أن يرى الانسان ملكة تعانى مثل هذا الخوف والوحشة . (يترقب حتى يتأكد من أن ديدرى لا تستطيع أن تسمعه) اصغ الآن الى ما أقول . يحسن بك أن تعود الى نظرائك ورفاقك من الرجال والنساء ، وألا تتلكأ حتى ذلك اليوم الذى تخور فيه قواك وتسىء الى ديدرى وهى ترى الجمود والذبول يطلان من عينيك .. لقد عشت هنا أعواما طويلة لكى تدرك أننى أقول الحق .

(تخرج ديدرى من الخيمة وفى يدها قدح من النبيذ ، يلتقط سمعها بداية حـديث نايزى فتقف مكانها مشدوهة)

نايزى : (مفكرا بامعان) لن أكذبك القول . لقد مرت بى أيام ، منـذ مـدة وجيزة ، حين كنت ألقى بصنارتى فى الماء لصيد بعض السمك ، أو أرقب خروج بعض الأرانب من جحـورها ، فاذا أنا يتملكنى شعور بالخوف من يوم أمل فيه صوتها (فى بطء بالغ) وتلحظ فيه ديدرى ما يعترينى من ملل .

فيرجس : (فى لهجة يشيع فيها الاشـفاق وان كان يغلب

عليها الشعور بالانتصار) لقـد أدركت ذلك ، يا نايزى .. ولتصدقنى اذ أقول لك ان ديدرى قد لحظت عليك هذا الخوف ، ولن يهدأ لها بال منذ الآن فى هذه الغابات .

نايزى : (فى ثقة) لم تلحظ شيئا .. ان ديدرى لا تفكر فى الشيخوخة أو الملل ، وهذا هو الذى له مفعول السحر فى تصرفاتها ، وهى التى لها من خفتها ومرحها ما يدخل الشجاعة والبشاشة فى نفوس سكان مدينة قد أصابها الطاعون .

(ديدرى تسقط قدح النبيذ من يدها ، ثم تجثم مكانها)

فيرجس : هذه الروح سوف تتخلى عنها . ولكن لا يجدر بنا أن نتوغل هكذا فى حديثنا ، وكل كلمة تجر أخرى . أو ستأتى الليلة الى ايمين ماتشا ؟

نايزى : لن أذهب ، يا فيرجس . لقد ساورتنى مخاوف الشيخوخة والملل ، ونضب معين اهتمامى بديدرى ، ولكنها ليست الا أضغاث أحلام . ما قيمة أختام كونشبور ، وكل حديثك عن ايمين وحمقى ميذ ، الى جانب أمسية واحدة نقضيها فى

وادى ماساين . سنمكث فى هذا المكان حتى تفنى أعمارنا وتحل آجالنا . هذه هى الرسالة التى يمكن أن تحملهـا معـك فى قاربك الى كونشبور فى ايمين .

فيرجس : (يجمع أوراقه) أو لن تذهب ، على وجـــه التأكيد ؟

نايزى : لن أذهب .. لقد أخبرتك أننى أصبحت أخشى .. أخشى الشتاء والصيف ، والخريف والربيع ، وحتى الوقت الذى تكون فيه الطيور دائبـة الحركة على أشجارها فى انتظار قدوم الليل ؛ بيد أن هذا الحديث قد أراح نفسى ، وانى لأرى أننا سعداء كأوراق الأشجار اليانعـة ، ولسوف نظل دوما على هذا الحال ، حتى لو كتب لنا أن نعيش عمر النسر ، وحوت سليمان ، وغراب بريطانيا .

فيرجس : (فى غضب) أين أخواك ؟ ان رسالتى تخصهما كذلك .

نايزى : تراهما أعلى الوادى يطاردان ثعالب الماء على مقربة من الغدير .

فيرجس : (بمرارة) لم يخطىء حدسى كثيرا حين ظننت أنكم لستم الا صيادين فحسب .

(ينصرف · يتجه نايزى ناحية الخيمة ، فيرى ديدرى وهى جاثمة على الأرض متشحة بمعطفها · تخرج ديدرى من الخيمة)

نايزى : هل سمعت حديثى مع فيرجس ؟ (لا تجيب . تسود فترة صمت ، ثم يلف ذراعه حولها) دعى القلق ، ولســوف نذهب الليـــلة الى وادى « رواده » حيث تجرى حيتان سليمان مع التيار .

(يعبر المكان ثم يجلس)

ديدرى : (فى صوت خفيض للغاية) سوف نرحــل مرة أخرى عندما يعلو المد خلال مدة وجيزة ، والا قد تسيل دماؤنا نحن . (تلتفت ناحيته ثم تتشبث به) ان الفجر والمساء عمرهما قصير ، والشتاء والصيف يمران سراعا ، وكيف يتسنى لنــا ، يا نايزى ، أن يدوم هناؤنا حتى أبد الآبدين ؟

نايزى : سوف نهنأ ما وسعنا الهناء حتى يحين أجلنا ، ولن يفلح حديث فيرجس عن الأعمال المجيدة فى أن يقنعنا بالعودة الى ايمين .

ديدرى : لست بذاهب الى الأعمال المجيدة ، بل الى المتاعب الوشيكة ، والتعجيل بأيامك وهى فى أوج اشراقها ومراحها ؛ أوليس من المؤسف ألا تستطيع ديدرى أن تحول بينك وبين الذهاب ؟

نايزى : لقد قلت أننا سوف نقيم فى أولبان على الدوام .

ديدرى : ليس ثمة مكان تقيم فيه على الدوام .. لقد قضينا أمدا طويلا ، يا نايزى ، تتعانق فيه شفاهنا، نمرح فى طول الوادى وعرضه ، ويهجع كل منا فى أحضان الآخر ، ثم نستيقظ مع عبير الصيف ينتشر على أديم العشب ، ونستمع الى الطيور وهى تصدح بالغناء فوق الأغصان العالية .. لقد قضينا أمدا طويلا ، ولكن لا ريب فى أن النهاية باتت وشيكة .

نايزى : أو ترغبين فى أن نذهب الى ايمين ، على حين أننا لن نحير جوابا لو أن شخصا ما سألنا عن السر فى هذا ، وكأننا نهاجر كطيور الدج القادمة من الشمال أو صغار الطيور الهائمة فوق بحر قد لفه الظلام ؟

ديدرى : هناك من الأسباب فى كل آن ما يفسر نهاية وشيكة الوقوع . وانى لجد مسرورة ، يا نايزى ، اننا سنرحل فى الشتاء فى وقت تتخذ الشمس فيه مكانا دانيا ، ويعقد فيه لواء القمر على سماء معتمة ، اذ يسعد كلانا بقضاء آخر أيامنا حيث يطل الضوء من خلف الأشجار اليانعة ، وحين تبدو حبات العليق وهى تتدلى على الأشواك فتنتظم سدا أحمر اللون .

نايزى : اذا كان مقامنا فى هذا المكان قد انتهى ، فلنرحل معا دون أن نصطحب أينل وأردان الى الغابات الواقعة فى الشرق ، اذ يحق لعاشقين أن يبتعدا عن الناس ما داما يحملان بين جوانحهما الحب . فلنرحل اذن ولنكن فى مأمن على الدوام .

ديدرى : (كسيرة القلب) ليس ثمة مأمن على سطح الأرض ، يا نايزى .. ولقد تراءى لى أنهم يحفرون قبرنا فى الأحراش التى يخيم عليها السكون ، وهم يلقون بالوحل على أوراق الشجر ، الغضة منها واليابسة .

نايزى : (فى مزيد من اللهفة) تعالى نرحل ، يا ديدرى ،

ولن نفكر كثيرا فى الأمان أو القبر النائى ، ونحن هاجعون فى ركن صغير بين مطلع النهار وأفول الليل الطويل .

ديدرى : (فى لهجة واضحة يشيع فيها الوقار) هـذه الساعة من العمر ، التى بين مطلع النهار وأفول الليل هى التى يحلو فيها النوم الى الأبد . أو لا يجمل بالانسان أن يسير الى موت وشـيك الوقوع ، ولا ينتظر حتى يصبح مطأطىء الرأس، يجر قدميه ، ويشهد حبه يوما من الأيام وقد نزلت به كارثة تطيح به وهو فى أوج عذوبته ورقته ؟

نايزى : (يتهدج صوته من الأسى) اذا كان الموت يوشك أن يحل بنا فكيف تكون مقدار تعاستى وأنا أفتقد الأرض والنجوم محلقة فوقها ، وأنت ، يا ديدرى ، القبس الذى تستمد منه النور ، وأنت التاج الوضاء فوق جبينها ؟ تعالى نرحل الى أمان الغاب .

ديدرى : (تهز رأسها فى تؤدة) ثمة طرق كثيرة يذوى بها الحب، يبلغ عددها عدد النجوم فى(ليلة الساقين)،

بيد أنه لا توجد وسيلة تستبقى بها الحياة أو تستبقى بها الحب ولو لأمد قصير فحسب .. ولذا فليس هناك أكثر وحشة من حب يترقب الوقت الذى يخمد فيه أوار المحبين .. ومن أجل هذا نشد الرحال الى ايمين ماتشا ، حين يرتفع المد على الرمال .

نايزى : (مستسلما) قد تكونين على حق . لابد أنه أمر مؤسف أن ترى محبين عاشقين وقد أصابهما الخمول وأدركتهما الشيخوخة .

ديدرى : (أكثر حماسة ورقة) لقد قضينا سبع سنوات دون مشقة أو ملل ؛ سبع سنوات حلوة وضاءة يعز على الآلهة أن تمنحنا سبعة أيام مثلها . ولذا فاننا ذاهبون الى ايمين حيث نجد راحة دائمة ، أو مكانا ينسينا الهموم وسط الحشود الغفيرة من الناس وهم يضطربون فى خضم الحياة .

نايزى : (فى هدوء بالغ) سوف نذهب ، بلا ريب ، الى مكان نرقب منه حبا لا نظير له وهو يذوى ويذبل . (يتشبثان بعضهما ببعض برهة ، ثم

يتطلع نايزى الى الطريق) ها هو فيرجس ومعه لاڤرتشام وأخواى .

(تنصرف ديدرى . يجلس نايزى مطأطىء الرأس . يتســـلل أوين الى الداخل ، ثم يقف خلف نايزى ، ويطوق ذراعيـــه . يتخلص منه نايزى ثم يستل سيفه)

اوين : (يضـحك ضحكة سـاخرة وهـو يريه يديه الفارغتين) آه ، يا نايزى ، أليس من حسن الطالع أننى لم أقتلك تلك المرة ؟ لقد أصابك الرعب ! كنت أراقب فيرجس فى أعلى الوادى — فلا تخف — ثم جئت الى هنا لكى أراه وهو يقابل بفتور ، ويعود بخفى حنين .

(يدنف فيرجس والآخرون ، يبدو عليهم جميعا الأسى وكأنهم يسيرون فى جناز احدى الملكات)

نايزى : (يغمد سيفه) ها هو ذا (يتجه الى فيرجس) اننا عائدان حينما يرتفع المد . عائدان أنا وديدرى بصحبتك .

الجميع : عائدان !

أينـــل : أو ستقضى آخر أيامك وحيدا مع ديدرى ، رغم أنه لا يوجد مثيل لها فى اشاعة المرح والسرور

بين جماعة صغيرة تعيش بمفردها بمنأى عن الناس ؟

أردان : لقد عشنا سبع سنوات نسهر على خدمتكما ونحرم أنفسنا متعة الزواج من أجلك ومن أجل ديدرى . فلم تعود بها الى كونشبور ؟

نايزى : لقد نفذت مشيئة ديدرى وارادتها .

فيرجس : لقد أقدمت على عمل سوف يسر له خاطر العقلاء فى جميع بقاع أيرلندا .

أوين : أتقول العقلاء ، وهم عائدون الى كونشبور ؟ يمكننى أن أجعلهم يعدلون عن الذهاب لولا أن نايزى غمد سيفه بين ضلوع أبى ؛ وحينما يقدم امرؤ على ذلك فلن يثق فى أيمانك . يعودون الى كونشبور ! ان بوسعى أن أفشى سر مؤامرات وحيل قد دبرت ، وجواسيس قد أجزل لهم العطاء للقيام بدورهم . (يقذف فى الهواء بكيس من الذهب) هل أنت مأجور ، يا فيرجس ؟

(يبعثر بضع قطع ذهبية فوق رأس فيرجس)

فيرجس : انه يهذى .. اقبضوا عليه .

أوين : (ينفذ من بينهم) لن تستطيعوا القبض علىّ . فلترحلوا جميعـا الى ايمين ، ولكننى سأرحل قبلكم .. أيها الموتى ، أيها الموتى ! أيها الرجال الذين سيقضون نحبهم فى سبيل جمال ديدرى ، سوف أسبقكم الى القبر !

(يهرع الى الخارج ممسكا مديته فى يده . يتعقبه الجميع فيما عدا لافرتشـام التى تتبعهم بنظرها ثم تضم يديها . تخرج اليها ديدرى فى معطف قاتم اللون)

ديدرى : ماذا حدث ؟

لافرتشام : انه أوين قد فقد صوابه ، وهو على وشك أن يقطع شرايين عنقه عند نتوء الصخرة الجاثمـة هناك . لقد كان النحس يطل من عينيه اليوم . ولاريب فى أنه يعلم ما يقول علم اليقين ، طالما أنه صرح بكل ما فى الأمر .

(يعود نايزى على عجل . يتبعه الآخرون)

أينـــل : (يدخل وهو فى غاية الاضطراب) هذا الرجل كان يعلم أن كونشبور قد دبر بعض المؤامرات. لن نرحل الى ايمين ، فقد يقع كونشبور فى حبها ويشعر نحوك بالمقت .

فيرجس : أو تبالى بأحمق يهذى ؟

اينـــل : كثيرا ما تفوق حكمة المجانين ادراك العقلاء . لن نطيع كونشبور .

نايزى : لقد قر عزمنا أنا وديدرى ؛ سوف نعــود مع فيرجس .

أردان : لن نعود . وسوف نحرق قواربك على مقربة من البحر .

فيرجس : لسوف أسهر وأبنائى على حراستها .

اينـــل : سوف نطلق نداء أوزنا ، ومن ثم يهب أصدقاؤنا لنصرتنا .

نايزى : أصدقائى هم الذين سيحضرون .

اينـــل : سوف يقيد أصدقاؤك وثاقك ، بعد أن فقدت صوابك .

(تتقدم ديدرى مسرعــة وتقف حائلا بين أينل ونايزى) .

ديدرى : (فى صوت خفيض) منذ سبع سنوات لم يرفع أبناء أوزنا أصواتهم فى شجار بينهم .

اينـــل : لن نذهب بك الى ايمين .

أردان : لقد عكر كونشبور علينا صفونا .

أينـــل : (مخاطبا ديدرى) امنعى نايزى من الذهاب . كيف يصبح حالنا لو أن كونشبور أخذك منا ؟

ديدرى : ليس ثمة انسان يستطيع أن يأخذنى منكم . لقد قررت العودة مع فيرجس ، فهل تتشاجر معى ، يا أينل ، رغم أننى كنت ملكتك طوال هذه السنوات السبع فى أولبان ؟

أينـــل : (يهدأ على حين فجأة) ليس لنايزى الحق فى أن يأخذك .

أردان : لم تذهبين ؟

ديدرى : (مخاطبة أينـــل وأردان والآخـــرين) انهـــا مشيئتى .. ربما لا أحب لنايزى أن يصير رجلا عجوزا فى أولبان والى جواره عجوز شمطاء ، فتشير اليهما الفتيات بقولهن : « هذان هما ديدرى ونايزى اللذان كانا يتمتعان بجمـــال أخاذ فى شبابهما ، وربما نحسن صنعا بأن نضع حدا فاصلا لذلك اليوم النبيل المجيد ، كما وضع آباؤنا من قبل حدا فاصلا لأيام ملوك أيرلنـــدا » أو قد تكون لى رغبة فى أن تطأ قدماى أرض سليف فواده حيث كنت ألهـــو

يوما من الأيام وأقفز عبر الغـدران (مخاطبة لاڤرتشام) ولسوف يسرنى كثيرا ، يالاڤرتشام ، أن أرى أشجار تفاحنا الصغيرة الباسقة خلف كوخنا القـابع على التل ؛ أو ربما أكون قد تعلمت ، يا فيرجس ، أنه مما يملأ النفس وحشة وأسى أن يبعد الانسان دوما عن أيرلندا .

أينـــل : (مذعنا) ليس ثمة مكان بعد هذا الا وسنشعر فيه بالوحشة ، خاصة اذا سرح بنا الفـكر فى السنوات السبع التى قضيناها معا فى أولبان .

ديدرى : (مخاطبة نايزى) بل سنشعر بالوحشة فى هذا المكان آخـر الأمر .. اصطحب فيرجس الى البحر . لقـد كان ضيفا لم يلق ما يستحق من الترحيب رغم أنه جاء يحمل الينـا رسـائل السلام .

فيرجس : سوف نعد قاربك اعدادا يليق برحلة ملك من الملوك . (ينصرف مع نايزى) .

ديدرى : خـذا حرابكما ، أينل وأردان ، واسبقانى ، ولتأخذا معكما خادمى الاسطبل لكى يحمـلا معاطفى التى وضعتها عند مدخل الباب .

آينـــل : (طائعا) بقلوب ملؤها الأسى نحمــل اليــوم حاجيــاتك التى طالما حملناها يحدونا السرور والبهجة ، ولو كنا نشعر بالجوع والبرد .

(يجمعان الاشياء ثم ينصرفان)

ديدرى : (تخاطب لافرتشام) اذهبى أنت أيضـــا ، يا لافرتشام ، فانك عجوز مسنة ، ولســوف أتبعك على وجه السرعة .

لافرتشام : لا ريب فى أننى عجــوز طاعن فى السن ، وقد تحطمت وانهارت الآمال التى كنت أعتز بها .

(تنصرف وقد ارتسمت فى عينيها نظرة يشيع فيها الرعب)

ديدرى : (تضم يديها) أى غابات كوان ، أى غابات كوان ، يا أرض الشرق العزيزة ! لقد قضينا سبع سنوات ملؤها البهجة والسرور ، واليوم نتجه نحو الغرب ، واليوم قد نواجه المــوت ، ولا شك فى أن الموت شىء ردىء قبيح ، رغم أنها ملكة تلك التى ستموت .

(تنصرف فى خطى وئيدة)

ســـــتار

الفصل الثالث



خيمة عند مدخل ايمين ، بها بضعة مقاعد وجلود رثة . ثمة فتحة فى كل جانب من جانبى الخيمة ، وفتحة أخرى مغلقة فى الخلف . تدلف المرأة العجوز وهى تحمل بعض الطعام والفاكهة ثم ترتبها على المائدة . يدلف كونشبور الى اليمين .

كونشبور : (محتدا) ألم يأت أحد بأنباء تخصنى ؟

المرأة العجوز : لم أر أحدا قط ، يا كونشبور .

كونشبور : (يراقبها برهة وهى منهمكة فى عملها ، ثم يذهب للتأكد من أن الفتحة الخلفية مغلقة) اذهبى الى ايمين اذن ، فلست فى حاجة اليك هنا . (تسمع جلبة الى اليسار) ما هذا ؟

المرأة العجوز : (تتجه الى اليسار) انها لافرتشام قد عادت مرة ثانية . ان لها قدرة عجيبة على التجول هنا وهناك فى أنحاء العالم ، ولقد أيقنت أنها سوف تذهب لاستقبالهم ؛ ولكنها قادمة بمفردها ، يا كونشبور ، وطفلتى العزيزة ديدرى ليست معها على الاطلاق .

كونشبور : اذهبى كما أخبرتك ، ودعينا وشأننا .

المرأة العجوز : (متوسلة) لسوف يسرنى كثيرا أن أرى ديدرى ، اذا كانت قادمة الليلة ، كما علمنا .

كونشبور : (متبرما) لن يمر وقت طويل حتى تريها . بيد أن لى شأنا مع لاڤرتشام ، فلتنصرفى الآن ، كما قلت لك .

(يصرفها من ناحيـــــة اليمين ، ثم تدلف لاڤرتشام الى اليسار)

لاڤرتشام : (تتلفت فيما حولها مرتابة) انه لمكان غريب ذلك الذى أجدك فيه ، وانه لمكان غريب تعده لاقامة نايزى وأخويه وديدرى برفقتهم ، خاصة وقد أنهكنا جميعا طول الرحلة التى قطعناها سيرا على الأقدام .

كونشبور : أو كنت تلازمينهم طوال الرحلة ؟

لاڤرتشام : نعم ، رغم أن ليس لى الحق وأنا فى هذه السن أن أقطع كل هـــذه المسافة حتى ولو لحفـــل زفاف ، أو جناز ، أو كلاهما معا .

(تجلس وهى فى شدة الاعياء) انه لأمر مؤسف أن تتقدم بى وبك السنون هكذا ، يا كونشبور. أعتقد أنه لا يجدر بك أن تتجول فى هـــذا المكان معرضا نفسك للموت من جراء برودة الليل .

كونشبور : اننى منتظر لكى أعرف ما اذا كان فيرجس قد حُجز فى الشمال أم لا .

لافرتشام : (أكثر حدة) لقد حجز بلا ريب ، وفى اعتقادى أن هذه خدعة دبرت أمرها لكى تجلب المتاعب الليلة لايمين ، ولأيرلندا ، وللعالم كله شرقهما . (تتجه نحـوه) ومع هذا فانك تحسن صنعا أن تذهب الى قلعتك ولا تحاول أن تلحق الخزى بها وهى بسبيل مقابلة الملك الأعظم ، خاصـة وأنها أصبحت مجعدة التقاسيم ؛ فضلا عن أنها شعثاء تتصبب عرقا من وعثاء الطريق . (تضحك فى سخرية) آه ، كونشبور ، يا بنى ، ان الجمال يخبو سريعا فى الأحراش ؛ وانى لعلى يقين من أنك سوف تذهل حينما يقع بصرك الليلة على ديدرى .

كونشبور : (بشراسة) لست أبالى كثيرا اذا كانت ممتقعة اللون منهكة القوى ، فأنا الذى ربيتها منـذ نعومة أظفارها ، وكان لى الحق كل الحق فى أن ألاقيها وأراها على الدوام .

لافرتشام : الحق كل الحق ؟ أو ليس للأعمى الحق كل

الحق فى أن يبصر ، وللأعـــرج الحق فى أن يرقص ، وللأخرس الحق فى أن يصدح بالأنغام ؟ ذلك هو حقك فى أن تبحث عن السعادة عـلى شفتى ديدرى . (ملاطفة) هيا الى قلعتك ، كما قلت ، ودعها وشأنها ليلة واحدة فقط .

كونشبور : (يحتدم غضبه فجأة) لن أذهب ، فقد قضيت وقتا كافيا فى قلعتى التى تمتد شرقا وغربا دون رفيق يؤنس وحدتى ، وأنا أشعر بعوز يقصر دونه عوز لصوص « ميذ » .. انك تعتقدين أننى كهل لا تعوزنى الحكمة ، ولكننى أؤكد لك أن الحكماء يدركون أن الكهول لابد أن يموتوا يومـا من الأيام ، ولذا فهم لا يدعون فرصة لشىء يفلت من بين أيديهم وقد وطدوا العزم على أن ينالوه .

لافرتشام : (تومىء برأسها) اذا كنت كهلا حكيما ، فاننى مثلك ، يا كونشبور ، وانى أؤكد لك أنك لن تنالها ولو كنت على استعداد لأن تفنى البشرية وتسلخ الآلهة فى سبيل الفوز بها . ثمة أشياء لا يستطيع الملوك أن ينالوها ، يا كونشبور .

ولو أنك أرغيت وأزبدت فلن تجنى شيئا اللهم الا أن تجلب الموت للكثيرين ، وتجر على نفسك عواقب وخيمة قبل أن يطلع النهار .

كونشبور : انك تثرثرين . (يتجه الى اليمين) أين أوين ؟ هل وقع بصرك عليه فى مكان ما وأنت قادمة فى الطريق ؟

لافرتشام : لقد أبصرته ، ما فى ذلك شك . لقد ذهب يتجسس على نايزى ، والآن يتجسس الدود على أحشائه .

كونشبور : (متهللا) هل قتله نايزى ؟

لافرتشام : كلا ، لقد قتل أوين نفسه وقد فقد صوابه من أجل ديدرى . ان الحمقى والملوك والعلماء يتساوون فى قصة كهذه مع فتاة كديدرى ، وقد ظن أوين أنه سيصبح رجلا خالدا لأنه أول انسان تسقط جثته فى اللعبة التى سوف تلعبها الليلة فى ايمين .

كونشبور : كان الأجدر أن تكونى أول جثة ، ولكن هاك رسلى الآخرين قد قدموا ، وهم رجال من العشائر التى تمقت أوزنا .

لاڤرتشام : (تنسحب فى يأس) اذن فلترحمنا الآلهة !

(يدخل رجال مسلحون)

كونشبور : (مخاطبا بعض الجنود) هل عزلتم أينل وأردان عن نايزى ؟

الرجال : نعم ، يا كونشبور . لقد أبعدناهما عنه قائلين ان الأمر يحتاج اليهما لاعداد بيت ديدرى .

كونشبور : وهل نايزى وديدرى قادمان ؟

احد الجنود : نايزى قادم ، بكل تأكيد ، وفى صحبته امرأة يطغى جمالها على مجد القمر البازغ والشمس الساطعة .

كونشبور : (ينظر الى لاڤرتشام) أو يتفق هذا مع قولك انها أصبحت قبيحة مجعدة التقاسيم ؟

احد الجنود : لدى أنباء أخرى . (يشير الى لاڤرتشام) حينما سمعت هذه المرأة بأنك أمرت باحضار نايزى الى هذا المكان ، أرسلت خادما يستدعى فيرجس من الشمال .

كونشبور : (مخاطبا لاڤرتشام) من أجل هذا كنت تدبرين حيلك ، ولكنك لم تجنى ســوى أنك جعلت نايزى أقرب الى الموت عن ذى قبل . (مخاطبا

بعض الجنود) اذهبوا واستدعوا جنودى ، وخذوا هذه المرأة الى ايمين .

لافرتشام : انى أوثر أن أبقى فى هذا المكان . لقد بذلت ما فى وسعى ، ولكن ما دامت النهاية المؤلمة على وشك الوقوع ، فقد يكون من الأفضل أن أبقى هنا لكى أهتم بديدرى .

كونشبور : (فى شراسة) خـــذوها الى ايمين ؛ كفـاها ما دبرت اليوم من حيل .

(يتجه اليها أحد الجنود)

لافرتشام : لا تمسنى (تضـع عباءتها حـولها ثم تمسك بذراع كونشبور) لقد اعتقدت أننى أستطيع أن أغلّ يدك بقصصى حتى يحضر فيرجس لكى يقف بجانبى ، وفى ذلك انقاذ لك ، يا كونشبور ، ولنايزى ، ولايمين ماتشا ؛ ولكننى سـوف أذهب الآن وأذرع ردهاتك قائلة (تشـــير بيديها) سوف ينمو هنا نبـات القريض ومن خلفه نباتات الحسك والحماض ، لسوف أدخل غرف نومـك حيث كنت تتخيل نفسك وأنت مشرئب العنق لترتوى من قبلات ديدرى ربة

النساء ؛ ومن ثم أقول ان هنـا سـوف تمرح الغزلان ، وتنبش النعاج ، وتثغو الأغنام وتسعل حين تهب الرياح العاتية من الشمال . (تتخلص من قبضتهم . كونشبور يشير بيده الى الجنود) اننى ذاهبة ، بلا شك . ولن تمضى فترة طويلة حتى أكون جالسة مع كثيرين غيرى نصغى الى ألسنة اللهيب وهى تقرقع ، والى صـوت الدعامات الخشبية وهى تتهشم ، وأنظر الى النيران المضطرمة تعلن نهاية ايمين .

(تنصرف)

كونشبور : (يتطلع الى الخـارج) أرى شخصـين بين الأشجار ، لابد أنهما نايزى وديدرى (مخاطبا أحد الجنود) أبلغهما بأنهما سـوف يقيمان الليلة هنا .

(ينصرف كونشبور جهة اليمين . يدلف نايزى وديدرى الى اليسار وقد أضناهمـا التعب)

نايزى : (مخاطبا بعض الجنود) أهذا هو المكان الذى أعده كونشبور لى ولديدرى ؟

احد الجنود : لقد نظفنا دار الغصن الأحمر ، وعرّضنا غرفه للهواء ، ولسوف تدعيان الى هناك قبل مضى وقت طويل ؛ وحتى ذلك الحين سوف تجدان بعض الفاكهة والشراب على هـذا النضـد ، ولتبارككما الآلهة .

(ينصرف جهة اليمين)

نايزى : (يتلفت فيما حوله) انه مكان غريب ذلك الذى أعـده كونشبور لاقامتنا ، وقد جئنا بصفتنا أصدقاءه .

ديدرى : ربما يكون منهمكا فى الاستعداد للترحيب بنا ، وهو يشرف على تنظيف الستائر وتنسيق الغرف الوثيرة ؛ ومن الصواب أن يعد لنا اسـتقبالا ضخما ، خاصة وأنك ابن أخته .

نايزى : (مكتئبا) لسنا نطمع فى الأبهة أو الغـرف الوثيرة أو الستائر الفخمة ، ونحن الذين تعودنا على رؤية نباتات السرخس وجداول المـاء الباردة وهى تنساب وتترقرق .

ديدرى : (تتجول فى أنحاء المكان) اننا نطمع فيما هو حق لنا فى ايمين (تتطلع الى الستائر) ورغم

ما يعده لنا من مظاهر الأبهة والعظمة ، فقد جعلنا ننتظر فى مكان رث تفترشه سجاجيد بالية وجلود قد نخرها السوس .

نايزى : (فى شيء من التبرم) ثمة قليل من الناس يقلقون بالهم بالجلود والسوس كما نفعل نحن فى أول ليلة نعود فيها الى ايمين .

ديدرى : (فى اشراق) ينبغى أن يسر خاطرك بأننى أقلق بالى بهذه الأشياء فى كل حين ، اذ كنت أحرص على أن أجعل خيمتك طيلة سبع سنوات نظيفة كخلية نحل أو عش قنبر . لو أن كونشبور له ملكة مثلى فى ايمين لما فرش هذه الخرق البالية لاستقبالنا (تشد الستائر فتفتحها) ثمة تراب حديث العهد قد هيل على الأرض ، وخندق محفور .. انها مقبرة ، يا نايزى ، واسعة غائرة .

نايزى : (يتجه الى المكان ثم يشد الغطاء فيكشف عن المقبرة) ولسوف تكون هذه المقبرة بيتنا فى ايمين .. لقد حفرها بحكمة عند أسفل التل ، واتخذ من الأشجار الساقطة سترا لها عن

الأنظار . انه يريد أن يقتلنا ويدفن جثتينا قبل مجيء فيرجس .

ديردرى : ابعدنى عن هذا المكان .. خذنى لكى تخبئنى بين الصخور ، فالليل على وشـــك أن يرخى سدوله .

نايزى : (يستجمع قواه) لن أتخلى عن اخوتى .

ديردرى : (بانفعال شديد) انه لا يحقد الا على كلينا . هيا بنـــا الى الأماكن التى اعتـــدنا أن نرافق فيها بعضنا . أليس مما يبعث على السرور أن نختبىء معا بين أعواد السرخس العالية ؟ (تجذبه الى اليسار) اننى أسمع كلمات غريبة صادرة من بين الأشجار .

نايزى : لابد أنهم محاربو كونشبور الأوغاد . لقـــد شاهدتهم وهم يمرون بنا فى الطريق .

ديردرى : (تجذبه نحو اليمين) تعال الى هذا الجانب . اصغ ، يا نايزى !

نايزى : هاك عدد آخر من الجنود .. اننا محاصرون ، وليس معى أينل وأردان ليقفا الى جانبى . أليس

من المؤسف ألا نموت سويا ونحن الذين هزمنا الكثيرين .

ديردرى : (تتداعى) وأليس من دواعى الأسى أن نتواجد فى هذا المكان بجانب قبرنا المحفور ؛ رغم أنه ما من كائن قد نعم بمثل السعادة التى نعمنا بها طيلة تلك الأيام التى قضيناها فى أولبان ، والتى مرت فى لمح البصر .

نايزى : انه شىء مؤسف ، بلا ريب ، أن نفقد تلك الأيام الى الأبد ؛ ومع هذا ، فقد يكون من الخير أن يمضى كل شىء سراعا ، ذلك أنه بعد أن يستقر جسدى فى هذا القبر ، سوف يأتى اليوم الذى تملّين فيه من كثرة الصراخ والعويل ، وحينئذ سوف تهدئين نفسا .

ديردرى : لن أكون على قيد الحياة حتى أدرك صحة هذا القول .

نايزى : لن يقتل كونشبور سوى ثلاثتنا الليلة ، ولن يمضى شهران أو ثلاثة حتى ترينه وقد سار يتغزل فيك ويخطب ودك .

ديردرى : لن أكون هنا .

نايزى : (فى صعوبة) قد تحسنين صنعا بأن ترديه عنك حينئـــذ ، ومن ثم ، عنـــدما يحين الوقت ، تستطيعين أن تشقى طريقك غربا الى مكان ما فى « دونيجول » . وهناك سوف تعتادين عـــلى الهجوع وحيدة فى هدأة الليل ، واليقظة وحيدة فى مطلع النهار .

ديدرى : بربك لا تذكر أشياء هى أسوأ من الموت .

نايزى : (فى شىء من عدم الاكتراث) لدى كلمة أخيرة . اذا جاء اليوم الذى تكونين فيه فى الغـــرب وترين فيه طيـــور القنبر تنشر أعرافها عنـــد حواشى السحب ، وتضطرب فيه طيور الوقواق ، وكان ثمة رجل ترتسم صورته فى مخيلتك ، فلا تحسبين أنه سوف يرضينى أن تستمرى فى النحيب والعويل على الدوام .

ديدرى : (تلتفت لكى تنظر اليه) ولو كنت أنا الذى قدّر لى المـــوت ، يا نايزى ، أو تتخذ امرأة أخرى تملأ مكانى ؟

نايزى : (فى أسى بالغ) لست أدرى سوى أنه مما يشق علىّ ويحز فى نفسى أن أتخلى عن هذه الأرض ،

وأمرّ من ذلك وأدهى أن أتركك وحيدة يائسة تنتحبين دوما على وجهها .

ديدرى : لسوف أموت حين تموت ، يا نايزى ، لم أكن لأجيء من أولبان لولم أعلم أننى سأكون بجانبك فى ايمين ، حيا كنت أم ميتا .. ومع هذا فانك لا تتحدث الليلة سوى حديثا غريبا يبعد الشقة بيننا .

نايزى : لا ريب فى أنه ما من شىء يبعد الشقة بين صديقين متحابين مثل قبر فاغر الفم حديث العهد .

ديدرى : اذا لم يكن ثمة شىء يقرب بيننا ، فان هذا القبر حين يضمنا سوف يجعلنا جسدا واحدا الى الأبد ، وأمامنا نحن العاشقين فسحة طويلة نقضيها دون أن يصيبنا الضنى أو يدركنا العجز أو يتسرب الى نفوسنا الأسى .

كونشبور : (يدخل من جهة اليمين) مرحبا بك ، يا نايزى .

نايزى : (يهب واقفا) مرحبا بك ، يا كونشبور ، اننى جد مسرور بمجيئك .

كونشبور : (فى رقة) لا تسيء الظن بهـذا المكان الذى هيأته لكما ريثما يتم اعداد الغرف الأخرى .

نايزى : (ينفجر غاضبا) اننا نعرف الغرفة التى أعددتها لنا . اننا نعرف الدافع الذى حـدا بك الى أن تبعث بفيرجس وهو يحمل أختامك الى أولبان ثم تحجزه بعد ذلك فى الشمال (يكشف الغطاء ويشير الى القبر) وتحفر هـذا القبر الذى أمامنا . اننى أتساءل الآن ما الذى جاء بك الى هنـا ؟

كونشبور : جئت أنظر الى ديدرى .

نايزى : انظر اليها . انك ذو خيال بارع ، ولقد أحسنت اختيار الفتاة التى أغريتها بالحضور من أولبان . فلتنظر اليها ، وحينما تفرغ من النظر سـوف تجد أصابعى العشرة وقد أطبقت على رقبتك المرقطة [1] كرقبة الأوز ، رغم أنك الملك بجلال قدرك .

ديدرى : (تقف حائلا بينهما) صه ، يا نايزى ! قد يعرض كونشـبور علينا الصـلح ... لا تحفل به ،

(١) الرقطة سواد يشوبه نقط بيضاء .

يا كونشـــبور ؛ فلديه من الأســـباب ما يبرر غضبه .

كونشبور : لن أعبأ كثيرا بغضـــبه ، فان نداء واحدا يأتى بجنودى من بين الأشجار .. ولكن ما قولك يا ديدرى ؟

ديدرى : أقول اننا نبدو ، ونحن على مقربة من هـــذا القبر ، ثلاثة أشخاص يعانون الوحشة ، وليس هناك انسان يفكر فى شفتى امرأة ، أو فى الرجل الذى يمقته ، وهو واقف بجوار مقبرة قد حفرت حديثا . لن يمضى وقت طويل حتى يحفر قبرك أنت فى ايمين ، ولسوف توارى التراب وأنت أهدأ بالا وأرضى ضميرا لو أنك استدعيت أينل وأردان وتناولنا العشاء سويا ، ثم سددنا هذه الحفرة ، ومن ثم تقر عينا من الآن فصاعدا ، والى جوارك فى ايمين أربعـــة أصـــدقاء جدد مثلنا .

كونشبور : (يتطلع اليها برهة) هذه أول كلمة طيبة أسمعك تتفوهين بها ، يا ديدرى . ان هذه اللعبة التى تقومين بها هى أنسب شىء يدخل اللين على

القلب ويغرى اللسان بحلاوة القول ؛ ومع ذلك فانني حين أصغى اليك استميح العذر لنايزى فى أنه فر بك من ألستر .

(مخاطبا نايزى) والآن ، يا نايزى ، فلتجب فى رفق ، ولسوف نكون أصدقاء الليلة .

نايزى : (فى اصرار) ليس لى الا أن أتلطف . سوف أجيب على ما تشاء .

ديدرى : (ممسكة بيد نايزى) اذن سوف تدعو كونشبور صديقك ومليكك ، وهو الرجل الذى ربانى ونشأنى فوق سليف فواده .

(تسمع صرخات صادرة من الخلف بينما يهم كونشبور بمصافحة نايزى) .

كونشبور : ما هذه الجلبة ؟

أينل : (من الخلف) نايزى .. نايزى .. هلم الينا ؛ لقد غدر بنا وقضى علينا .

نايزى : انه أينل يستغيث فى معركة .

كونشبور : لقد كنتما الليلة على وشك أن تكسبا ودى . ولكن الموت يقف حائلا بيننا الآن .

(ينصرف)

ديدرى : (متشبثة بنايزى) ليس ثمة معركة .. لا تتركنى ، يا نايزى . دعنا نتسلل فى الظلام خلف القبر . اذا قامت معركة ، فربما يلقى المحاربون الأوغاد حتفهم ، حين يتصدى لهم أينل وأردان .

(تسمع بضع صيحات)

نايزى : (بوحشية) انى أسمع أردان يصيح مناديا ، لا تحولى بينى وبين اخوتى .

ديدرى : لا تتركنى ، يا نايزى . لا تتركنى وحيـدة محطمة .

نايزى : لا أستطيع أن أتخلى عن اخوتى على حين أننى أنا الذى تحديت الملك .

ديدرى : سوف أذهب معك .

نايزى : لا يمكن أن تأتى معى ، فلا تعوقينى عن القتال.

(ينحيها جانبا فى شىء من الغلظة)

ديدرى : (تتمالك نفسها) اذهب الى اخوتك ، لقد كنت لطيفا معى طيلة سبع سنوات ، ولكن جفوة الموت قد جاءت بيننا .

نايزى : (ينظر اليها مشدوها) أو ترضين بأن أواجـه

الموت وكلماتك الجافية من فيك تستقر فى أذنى؟

ديدرى : لقد كنا فى حلم ، ولكن ما من شك فى أن هذه الليلة قد أيقظتنا من هذا الحلم . لقد عشنا أمدا طويلا فى زمن قصير ، يا نايزى ، أو ليس من المؤسف أن نفتقد حتى أمان القبر ونحن على شفا حفرته ؟

اينل : (من الخلف) نايزى ، نايزى ، لقد هوجمنا وقضى علينا !

ديدرى : اذهب حيث ينادون عليك (تنظر اليه برهة فى فتور) ألا تخجل من نفسك وأنت تتلكأ وتتحدث بينما يواجه أينل وأردان موتا قاسيا فى الأحراش ؟

نايزى : (محنقا) لن يلاقوا موتا قاسيا وهم يواجهون رجالا فقط . ان النساء اللائى أحببن هن القاسيات ؛ ولو قدر لى العيش بعد اليوم لصببت اللعنة على كل من أصادف منهن سواء فى المشرق أو فى المغرب ، ولصببت اللعنة على الشمس التى وهبتهن الجمال ، وعلى نباتات

الفـــوة والاستنقروب التى صبغت معاطفهن باللون الأحمر .

ديدرى : (فى مرارة) اننى مسرورة اذ لا يوجد انسان فى هذا المكان حتى ينشر بين الناس أن نايزى كان أضحوكة ليلة موته .

نايزى : لن يبقى هناك كثير من الناس لكى ينشر هذه القصة ، اذ أن تلك السخرية المرتسمة فى عينيك كفيلة بأن تلطخ وجه الأرض فى ايمين بجائحة من المقابر الغائرة . (ينصرف) .

كونشبور : (فى الخارج) ها هو نايزى . اقتلوه ! (تسمع جلبة . تنكفىء ديدرى فوق عبـاءة نايزى . يدخل كونشبور مسرعا) لقـد لاقوا حتفهم — الثلاثة الذين اختطفوك ، يا ديدرى ، ولسوف تكونين منذ الآن ملكتى فى ايمين .

(تسمع أصـــوات رجال ينتحبون فى المؤخرة)

ديدرى : (فى ذهول ورعب) لن أكون ملكة .

كونشبور : فلتنوحين قليلا اذا شئت ، ولكن لن يمضى وقت طويل حتى يأتى اليوم الذى تشفقين فيه

على رجل استبدت به الشيخوخة والوحشة ، فضلا عن أنه الملك الأعظم .. لا تخشيننى ، فاننى جد مسرور اذ تكنين كل هذا الأسى للثلاثة الذين كانوا أصدقاء لك فى أولبان .

ديدرى : ان الأسى يتملكنى . لا ريب فى ذلك .. واننى لأشعر الليلة بدرجة من الأسى ، حين أفكر فى نايزى ، بحيث أستطيع أن أنهش قلب ملك بأسنانى .

كونشبور : اننى أعلم جيدا أن الأسى عنيد قاس ، فان الأسى على نفسى هو الذى أودى بحياة نايزى .

ديدرى : (أكثر شراسة) ان كلماتى التى خلت من الشفقة هى التى سببت لنايزى موتا لن يذوق أحد مثله حتى آخر الحياة ونهاية الزمن .

(تنفجر فى نوبة من النحيب والعويل) ولكن من ذا الذى يأسى لديدرى وقد افتقدت شفاه نايزى وهو يطبع قبلاته على جيدها وخديها ، افتقدتها الى الأبد ؟ من ذا الذى يرثى لديدرى وقد افتقدت الشفق فى الغاب مع نايزى ، حين

كانت تصطبغ أشجار الزان بلون الفضة والنحاس وأشجار الدردار بلون الذهب الخالص ؟

كونشبور : (فى ذهول) اننى أعرف كيف أرثى لك وأعنى بك ، رغم أن نصيبى من المتاعب جعلنى الليلة أعتقد أنه لو أننى كنت فى القبر ، وديدرى تبكى فوق جثتى ، وكان نايزى هو الذى تستبد به الشيخوخة ويعانى الوحشة ، لكانت صفقة رابحة لى .

(يسمع صوت نحيب وعويل)

ديدرى : (يستبد بها الحزن) اننى أنا التى أعانى الوحشة ، أنا ، ديدرى ، التى لن تعيش حتى تتقدم بها السنون .

كونشبور : لن تعانى الوحشة بعد الآن ، وقد قضيت سبع سنوات أقول تارة : ان اليوم مشرق بالنسبة لديدرى فى غابات أولبان ، أو أقول تارة أخرى : كيف تنام ديدرى الليلة ، ورياح الشمال تعصف بالأوراق والأغصان ؟ لا تقوضى الأمل الذى وطدت حياتى عليه ، وأنت تستسلمين هكذا للحزن على حين أن الفرح والحزن يتلاشيان

كما تتلاشى قشة تشتعل فى مهب لفحة من لفحات رياح الشرق .

ديدرى : (تلتفت اليه) أو هكذا كان شأن حزنك حينما شددنا الرحال أنا ونايزى شمالا من سليف فواده ثم نشرنا شراع قاربنا الى أولبان ؟

كونشبور : لا ريب فى أن هناك نوعا واحدا من الحزن لا نهاية له — حزن الشيوخ الذين تستبد بهم الوحدة والوحشة . (فى توسل غير عادى) ولكننا سننعم بالسلام فى ايمين ، تعزف لنا القيثار أنغاما شجية ، ويقص الشيوخ على مسامعنا حكايات مسلية عند هبوط الليل . لقد أمرت بتشييد عدة غرف لنا ، يا ديدرى ، حليت جدرانها بالذهب الأحمر ، ونقشت سقوفها بالبرونز . لم توجد ملكة فى الشرق قط كان لها مثل منزلك الذى ينتظر قدومك الى ايمين .

احد الجنود : (يدخل مسرعا) ايمين تحترق . لقد عاد فيرجس ، وهو يشعل النار فى العالم بأجمعه .

اسرع ، يا كونشـــبور ، والا حل بدولتك الدمار !

كونشبور : (فى لهجة غاضبة وقد استرد وقاره الملكى) هل دفنتم أبناء أوزنا ؟

الجنـدى : انهم فى قبرهم ، بيد أننا لم نهل عليهم التراب بعـد .

كونشبور : دعنى أراهم . افتح الخيمة ! (يفتح الجنـدى مؤخرة الخيمـة ويكشـف عن المقبرة) أين جنودى ؟

الجنـدى : ذهبوا الى ايمين .

كونشبور : (مخاطبا ديدرى) ليس ثمة من يلحق بك أى أذى . ابقى هنا حتى أعود اليك .

(ينصرف مع الجندى . تتطلع ديدرى فيما حولها برهة ، ثم تسير متئدة وتنظر داخل المقبرة . تجثم على الأرض ثم تتمايل الى الخلف والى الأمام وهى تنتحب فى صوت خافت لاتسمع كلماتها أول الأمر ، ثم تتضح بعد ذلك)

ديدرى : لن يرى ثلاثتكم بعد الآن شبح العمر وهـو يتقدم ، أو الموت وهو يزحف — أنتم الذين

كنتم خير رفاق لى حين كانت النيران تخبو فوق قمم التلال فلا نسير الا فى رفقة النجوم . سوف أحول فكرى عن هذه الليلة التى تثير الشفقة ، ولا مشفق ، الى تلك الأيام التى كنتم تقيسون لى فيها من عصيكم وعباءاتكم خيمة صغيرة حيث كنا نستظل بشجرة من أشجار التامول وتتخذ من الحجارة الصغيرة الجافة مقاعد لنا ، غير أن أصابعى سوف تبتنى منذ اليوم خيمة لى وهى تجتذب شعرى الملبد بمياه المطر .

(تتسلل لاڤرتشام والمرأة العجوز جهـــة اليمين)

ديدرى : (لم يقع بصرها عليهما) اننى أنا ، ديدرى ، التى سوف أجثم فى مكان حالك الظلام ، أنا ، ديدرى ، التى كنت أنعم بالشباب مع نايزى ، ثم جلبت الحزن الى قبره فى ايمين .

المرأة العجوز : أهذه هى ديدرى . كسيرة محطمة وقد كانت مثال المرح وانطلاق الروح ؟

لاڤرتشام : انها هى بلا ريب ، وهى تنتحب فوق قبرهم . (تتجه الى ديدرى) .

دیدری : سوف يقدر لى منذ الآن أن أنتحب فوق قبره على الدوام ، وأنا أندب حبا سوف يظل على مدى الأيام نجما يتلألأ فوق مرفأ صغير على مقربة من البحر .

لافرتشام : (تتقدم نحوها) انهضى يا ديدرى ، وتعالى معنا ، طالما أنه ليس ثمة من يترقبنا ، ولسوف أجد لك مأوى وبعض الأصدقاء يسهرون على حراستك .

ديدرى : الى أين أذهب بعيدة عن نايزى ؟ وما قيمة الغابات أو شاطىء البحر بدون نايزى ؟

لافرتشام : (ملاطفة للغاية) اذا كنت ستستمرين على هذا الحال ، فتعالى حتى أعثر لك على مكان مشمس حيث تصبحين أعجوبة كبرى يطلق عليها الناس اسم ملكة الأحزان ؛ ولسوف تجدين العزاء وأنت تمضين الليالى ساكنة حالمة عند قدوم الصيف .

ديدرى : كان صوت نايزى هو الذى يدوى فى الصيف — صوت نايزى الذى كان أعذب من ألحان المزمار ، ولكنه منذ اليوم سوف يسكت على الدوام .

لاڤرتشام : (مخاطبة المرأة العجـــوز) انها لا تعرنا أى اهتمام على الاطلاق . من العسير علينا أن نفيقها مما هى فيه .

المرأة العجوز : اذا لم نستطع أن نفيقها فلسوف يفيقها الملك الأعظم حينما يعــود الى جانبها منتصرا ، ونار المعــركة تتأجج فى عروقه ، اذ كيف يتســنى لفيرجس أن يقف فى وجهه ؟

لاڤرتشام : (تلمس ديدرى بيدها) ما زال أمامك عشرون سنة من سنى النساء تحيينها ، ومن الأفضل أن تقررى ما اذا كنت ستبدئين قضاءها الى جانب الرجــل الذى تمقتينه أو ستعيشينها ســيدة نفسك فى الغرب أو الجنوب .

ديدرى : لن أواصل العيش بعد أينل وأردان . وبعــد نايزى لن تكون لى حياة على وجه الأرض .

المرأة العجوز : (فى اضطراب) انظــرى ، يا لاڤرتشام ! ثمة ضوء قادم من « دار الغصن الأحمــر » . ان كونشبور وزمرته قادمون عــلى عجــل وهم يحملون شعلة من خشب الشوح ليعقدوا بها

زواجها ، ولسوف يكشفون بضوئهم عن جثث رفاقها الثلاثة .

ديدرى : (مجفلة) دعنا نهيل الطين على رفاقى الثلاثة . دعنا نستر جثة نايزى ومعها جثتا أينل وأردان ، هؤلاء الذين كانوا فخر ايمين . (تهيل الطين) ها هو نايزى ، خير ثلاثة هم صفوة الكثيرين من النـــاس . لقد كان نصيبك موتا نظيفا ، يا نايزى ؛ ولست أنا التى أتخلى عن رأسك ، وقد كنا نمضى الليالى المظلمة بين طيور الشنقب والسقســاق تتهامس سويا . ولست أنا التى أتخلى عن رأسك ، يا نايزى ، وقد كنا نقضى الليالى الطوال نشاهد النجوم من خلال الأشجار اليانعة فى وادى رواده ، أو نشاهد القمر يستقر على سفوح التلال لكى يستريح من عنـــاء المطاف .

المرأة العجوز : كونشبور قـــادم بلا ريب . انى أرى وهج اللهيب يلقى ضوءا على عباءته .

لافرتشام : (فى لهفة) انهضى ، يا ديدرى ، وتعالى الى

فيرجس ، والا أصبحت عبدة للملك الأعظم الى الأبد !

ديدرى : (فى صلف وكبرياء) لن أتخلى عن نايزى ، وقد أصبح العالم كله من بعده مقفرا موحشا . لن أذهب بعيدا على حين أنه ما من نجمة بازغة فى السماء أو زهرة نستظل بها على الأرض ، الا وهى تقول لى انه نايزى الذى ذهب الى الأبد .

كونشبور : (من خلفها) انها هنـــا . ارتدوا قليلا الى الوراء .

(تتوارى لافرتشام والمرأة العجــوز فى الظل جهة اليسار بينما يدلف كونشــبور . يخاطب ديدرى فى اضطراب) أقبلى الى هنا واتركى نايزى كما تركت الخشب فحما ورمادا ، وخلفت رائحة الحـــريق فى ايمين ماتشا ، وكومة من القاذورات فى مخزن كان مليئا بتيجان كثير من الملوك .

ديدرى : (تزداد ادراكا لما يدور حـــولها) وما قيمة التيجان وايمين ماتشا ، وقد ووريت الرأس

التى منحتها المجد فى هذا المكان ، يا كونشبور ، وهى مسجاة فوق الحصى الذى سأتخذ منه فراشى الليلة ؟

كونشبور : فلتكفى عن الحديث عن نايزى ، ذلك أننى جئت لكى أصطحبك الى دنديلجان بعد أن دمرت ايمين .

(يهم كونشبور بالدنو منها)

ديردرى : (فى نغمة تجعله يقف مكانه) ارتد قليلا عن نايزى الذى ينعم بالشباب الى الأبد . ارتد قليلا عن تلك الأجساد البضة التى أواريها تحت ربوة من الطين والأعشاب الذابلة — ربوة سوف يحتوينى أحد أركانها عندما تحين النهاية .

كونشبور : (بجفاء) انهضى وتعالى معى بدلا من أن يطير صوابك من جراء هذا النواح والعويل هنا .

ديردرى : انك أنت الذى تسببت فى وقوع أحداث جسيمة ، فلتعد الى أسلحتك ، يا كونشبور ، والى مجالس يذكر فيها اسمك العظيم ، اذ أنك فى هذا المكان لست الا عجوزا أحمق فحسب .

كونشبور : اذا كنت أتسم بالحماقة ، فانه ما زال لدى بقية

من ادراك يحملنى على ألا أضيع الشىء الذى ابتعته بالحزن والأسى والحاق الموت بالكثيرين .

(يقترب نحوها) .

ديدرى : اياك أن ترفع يدا لتمسّنى .

كونشبور : ثمة أياد أخرى يمكن أن تمسّك . ان جنودى منبثون بين الأشجار .

ديدرى : ومن ذا الذى سوف يحارب القبر ، يا كونشبور ، وهو غائر الجوف ، فى ليلة معتمة ؟

لافرتشام : (بلهفة) ثمة وقع خطوات فى الغابة . اننى أسمع صيحة فيرجس ورجاله .

كونشبور : (مهتاجا) ليس فى مقدور فيرجس أن يمنعنى . اننى أفوقه قوة ، رغم أننى عجوز محطم .

فيرجس : (يتجه الى ديدرى ؛ يثرى وهج أحمر خلف المقبرة) لقد دمرت ايمين ، ولسوف أقوم على حراستك فى كل آن ، يا ديدرى ، رغم أننى أنا الذى أوديت بنايزى الى قبره ، دون علم منى .

كونشبور : لن تقوم أنت على حراستها ، اذ أن جيوشى

كلهـا تحتشـد . انهضى ، يا ديدرى ، فانك ملك لى دون شك .

فيرجس : (يقف بينهما) اننى أمنعك .

كونشبور : (بشراسة) أما وقد قتلت نايزى وأخويه ، أتظن أن هناك انسان لا أقدم على قتـله ؟ أو تقف فى وجهى ، يا فيرجس ، وقد رأيتنى آكاد أموت كمدا طيلة سبع سنوات فى ايمين ؟

فيرجس : لا ريب فى أننى سوف أتصدى للص خائن .

ديدرى : (تنهض وترى الضوء المنبعث من ايمين) ارتدوا قليلا وأنتم تتنازعون كالحمقى ، على حين أننى محطمة قد نال منى البؤس كل منال . (تدور الى الجهة الأخرى) انى أرى ألسنة اللهيب فى ايمين تندلع وسط الليل البهيم ؛ ولسوف يكون هناك بسببى قطط برية وبنـات عرس تصيح فوق أطلال كانت مأوى للملكات وجيوش ومخزنا لكنوز من الذهب الأحمـر ، ومن ثم سترْوى الأجيال قصة مدينة حـل بها الدمار وملك أصابه الهذيان وامرأة سوف تظل فى ربيع العمر الى أبد الآبدين . (تتلفت فيما حولها)

اننى أرى الأشجار عارية جرداء ، والقمـــر ساطعا يتلألأ . أيها القمر الصغير ، أيها القمر الصغير فى أولبان ، لســوف تشعر بالوحشة الليلة ، والليلة القادمة ، والليالى الطوال من بعدها ، وأنت تغذ الســير فى الغاب خلف « وادى لاؤوى » ، تفتش فى كل مــكان عن ديدرى ونايزى ، العاشـــقين اللذين حسن معشرهما سويا .

فيرجس : (يذهب الى يمين كونشبور ، ثم يهمس فى أذنه) ارتد الى الوراء ، والا سوف تتحمل وزر القضاء على ملكة فقدت صوابها .

كونشبور : اننى أنا الذى فقدت صوابى ، وأنا أرى ايمين تتأجج فيها النيران ، وديدرى تهذى وتهرف ، وقلبى يكاد ينفطر .

ديدرى : (فى نغمة عالية هادئة) لقد نضوت عنى ثياب الحزن كما أخلع حذاء قد بلى واتسخ ، ذلك لأننى ســوف أنعم بحياة يحسدنى عليها علية الأقوام . لم يكن تافه الشأن ذلك الذى أقض مضاجع الملوك وهم يستوون على عروشهم فى

قاعات « ايمين » . لم يك شيئا تافها أن يقع اختيار كونشبور عليك ، وهو الذى يتسم بالحكمة والفطنة ، ونايزى ليس له مثيل فى الشجاعة بين الرجال . ليس أمرا تافه الشأن أن تفر من قبضة الشيخوخة حين يشيب شعرك وتخلع أسنانك . (فى شىء من الشعور بالانتصار) لقد استمتعنا بأحلى أوقات العمر فى تلك الغابات المزهرة ، ولا شك فى أننا سوف نأمن غوائل الدهر فى القبر ..

كونشبور : سوف تلحق بنفسها الأذى .

ديدرى : (تبرز مدية نايزى) لدى مفتاح صغير أفتح به سجن نايزى الذى أوصدتموه على شبابه الى الأبد . ارتد الى الوراء ، يا كونشبور ؛ فان الملك الأعظم الذى يسلط سيفه على رقبتك قد وضع يديه حائلا بينى وبينك . (تلتفت قليلا الى المقبرة) لقد تكهنت النبوءات بالأحزان ، ولكن الأقدار كانت تمنحنى الأفراح العظيمة على الدوام ؛ غير أنه مكان بارد ذلك الذى ينبغى علىّ أن أذهب اليه لكى أكون معك ،

يا نايزى ؛ ولســوف تكون ذراعاك باردتين الليلة ، وقد كان الدفء يسرى فيهما حين يطوقان عنقى فى كثير من الأحيان .. انه لشىء مؤسف أن أتحدث اليك وأذناك مغلقتان دونى . انه لشىء مؤسف ، يا كونشبور ، ذلك الذى ارتكبته الليلة فى ايمين ، غير أنه سوف يصبح فرحا ونصرا حتى آخر العمر ونهاية الزمان .

(تطعن قلبها بالمدية ثم تهوى الى المقبرة . يتقدم كونشبور وفيرجس . يخبو الوهج الأحمر تاركا المسرح فى ظلام دامس)

فيرجس : أربعة أجساد بضة ترقد بجوار بعضها ؛ أربعة أضواء لامعة أطفئت اليوم فى أيرلندا . (يلقى بسيفه فى القبر) هاك سيفى الذى لم يستطع أن يحميكم — أيها الأصدقاء الأربعة الذين كنتم أعز الأصدقاء على الدوام . لقد خبت نيران ايمين : وقضت ديدرى نحبها ، وليس ثمة من ينوح عليها . ذلك هو مصير ديدرى وأبناء أوزنا . لقــد انتهت الحــرب بيننــا الليــلة ، يا كونشبور . (ينصرف) .

لافرتشام : لدى كوخ صغير تستطيع أن تستريح فيه ، يا كونشبور ، خاصة وأن قطرات كبيرة من الندى تتساقط علينا .

كونشبور : (فى صوت متهدج) اصحبينى معك . فانتى لا أكاد أرى الطريق أمامى .

المرأة العجوز : من هنا ، يا كونشبور . (ينصرفان) .

لافرتشام : (بجوار المقبرة) ماتت ديدرى ، ومات نايزى . ولو كان فى مقدور الأشجار والنجوم أن تموت من الأسى ، لخلفت لنا الليلة سماء معتمة ، وأرضا يابسة جرداء فى ايمين .

ستار

روائع المسرح العالمى

صدر منها حتى الآن ٥٤ مسرحية

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١	الشقيقات الثلاث	أنطون تشيكوف
٢	أعمدة المجتمع	هنريك ابسن
٣	سيرانو دى برجراك	ادمون روستان
٤	مروحة ليدى وندرمير	أوسكار وايلد
٥	بنيلوبى	سمرست موم
٦	الغربان	هنرى بك
٧	اليكترا	جان جيرودو
٨	توركاريه	ا · ر · لوساج
٩	الدائرة	سمرست موم
١٠	شاترتون	الفرد ديفينى
١١	الأم	كارل تشابك
١٢	اللعبة الغادرة	جون جالزوردى
١٣	لعبة الحب والمصادفة	ماريفو
١٤	ست شخصيات تبحث عن مؤلف	لويجى بيراندللو
١٥	عربة اسمها الرغبة	تنسى وليامز
١٦	عزيزى بروتس	ج · م · بارى
١٧	رجل الله	جابرييل مارسل

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١٨	هيدا جابلر	هنريك ابسن
١٩	سباق المشاعل	بول هارفييه
٢٠	كنوك	جول رومان
٢١	جونو والطاووس	شين أوكاسى
٢٢	دون جوان	موليير
٢٣	بيت برناردا ألبا	فدريكو غرسيه لوركا
٢٤	القرد الكثيف الشعر	يوجين أونيل
٢٥	مأساة الدكتور فوستس	كريستوفر مارلو
٢٦	الأســتاذ كلينوف	كارن برامسون
٢٧	ثورة الموتى	اروين شو
٢٨	ماتعرفه كل امرأة	أوسكار وايلد
٢٩	اهمية أن يكون الانسان جادا	چيمس بارى
٣٠	دائرة الطباشير القوقازية	برتولت برشت
٣١	منزل القلوب المحطمة	چورج برنارد شو
٣٢	القيثارة الحديدية	جوزيف أوكونور
٣٣	أفكار صبيانية	نويل كوارد
٣٤	زوجة مستر تانكرى الثانية	آرثر وينج بنيرو
٣٥	عندما نبعث نحن الموتى	هنريك أبسن
٣٦	لا وقت للفكاهة	س . ن . بيرمان
٣٧	سيجفريد	چان چيرودو
٣٨	علماء الطبيعـــة	فريدرش دورنمات
٣٩	رغبة تحت شجر الدردار	يوجين اونيل
٤٠	حورية البحر	هنريك ابسن
٤١	جزاء خـدماتهم	سومرست موم

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٤٢	ايولف الصغير	هنريك ابسن
٤٣	بلياس وميليزاند	موريس ماترلنك
٤٤	الاله الكبير براون	يوچين اونيل
٤٥	حاملة المصباح	رجنالد بركلى
٤٦	آل باريت	رودلف بيزييه
٤٧	الزفاف الدامى	فدريكو جرثيا لوركا
٤٨	الخاطبـــة	ثورنتن ويلدر
٤٩	اعرف نفسك	بول هرفيو
٥٠	الخصى	ترنتيوس أفـــير
٥١	فترة التوافق	تنيسى ولیامز
٥٢	بــــيرجينت	هنريك ابسن
٥٣	الابن الأكبر	چون جلزوورذى
٥٤	زيارة السيدة العجوز	فريدريش دورينمات

ملتزم التوزيع فى الداخل والخارج مؤسسة الخانجى بالقاهرة
وتطلب من المكتبة القومية ٥ ميدان عرابى « القاهرة »
ومن مكتبة المثنى ببغداد ودار العلم للملايين ببيروت